الملخص

من بلاغة النبي العدنان في حديثه الطهور شطر الإيمان هذا بحث يعنى بدراسة أحد الأحاديث النبوية الشريفة ذات القيمة البالغة ، فقد قيل عنه: إنه أصل عظيم من أصول الدين، وقد جعله الإمام النووي بين الأربعين حديثاً التي اختارها لأهميتها، ولأن العلماء وصفوها بأوصاف جامعة من مثل أن هذا الحديث عليه مدار الإسلام، أو أنه يعدل نصف الدين، أو ثلثه، أو غير ذلك، وسوف يتبين من خلال الدراسة أن هذا الحديث– فيما أرى – يمثل الإيمان الكامل فمن تمسك بما فيه فقد نجا، وإلا فهو من الهالكين المهلكين لأنفسهم.

وهذا البحث – أيضًا– محاولة لإثبات أن نصوص الحديث الشريف من النصوص السخية التي تجود عليك بما لا يخطر لك على بال بشرط أن تحسن صحبتها، وإني لأخشى على دين من يزعم خلاف ذلك، أوليست السنة متممةً للقرآن، أوليس صاحبها قد أخبر عنه ربه بأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ؟، وأخبر هو عن نفسه بأنه أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً.

وقد نهجت في دراسة هذا الحديث منهجاً بلاغياً تحليلياً، يعنى بدراسة البناء، والتصوير في إطار كلي داخل النص، وذلك من خلال تحليل جميع العلاقات اللفظية الحسية المفضية إلى تلمس العلاقات الروحية المعنوية بين جميــع أجزاء البيان النبوي، هذا مع رصد أهم السمات التركيبية، والفنية، والطرائق البيانية التصويرية التي روعيت في بناء النص بأكمله لتكون خير مترجم عن المحتوى الروحاني النوراني المنبثق من مشكاة النبوة.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد، ومبحثين وخاتمة، وثبت بأهم المصادر والمراجع، ثم فهرس لموضوعاته.

أما المقدمة فقد ذكرت فيها أسباب اختيار الموضوع، والمنهج المتبع في دراسته، وكيفية تقسيمه.

وأما التمهيد فقد شمل أمرين: الأول – حول الحديث ذكرت فيه نص الحديث مع بيان مكانته، والثاني– تناولت فيه بإيجاز الرد على شبهة رواية الحديث بالمعنى وما لها من أثر سيء يذهب بكل البحوث البلاغية التي تتناول الكلام النبوي الشريف.

وجاء المبحث الأول تحت عنوان من بلاغة البناء، وجاء المبحث الثاني تحت عنوان من بلاغة التصوير.

ثم جاءت الخاتمة، لتضم عدداً من أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة، وخُتِم البحث بثبت لأهم مصادره ومراجعه، وفهرس لموضوعاته ، هذا، والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

Summary:

Rhetoric in Prophet Muhammad's Hadith "Purity is half of Faith":

This paper studies one of the most valuable hadiths of Prophet Muhammad, which is considered to be the root hadith of Islam. Besides, Imam Al-Nawawy has chosen it among his forty hadiths for its importance. Moreover, scholars of Islam have described it as the hub of Islam. In addition, it is said to be equivalent to half or third of Islam. It is clear through this study that this hadith, in my opinion, represents full faith and if one sticks to it, he/she is saved. Otherwise he/she is up the spout.

This paper also asserts the generosity and richness of Prophet Muhammad's hadiths as long as one follows them. Consequently, I am worried about the religion of those who do not believe in this richness. Is not Prophet Muhammad's Sunnah the complementary to The Holly Qur'an? Is not Prophet Muhammad described by Allah in The Holly Qur'an as "nor does he speak from his own inclination. It is not but a revelation revealed"? Moreover Prophet Muhammad himself told that he had pithiness of speech and speech has been shortened for him completely.

I follow through this study a rhetorical analytical way which focuses on the structure and imagery of the hadith through analyzing all verbal relationships that lead to spiritual ones between all parts of the text. I also focus on the most important synthetic features, techniques and imagery which were used in the structure of the text and which are the best representative of the hadith's spiritual message.

The paper is divided into an introduction, a preface, two chapters and a conclusion. It is supported by important references and an index of its topics.

The introduction explains the reasons for choosing this topic and the approach of the paper as well as its sections.

The preface is divided into two sections. In the first one I state the hadith and reveal its importance. In the second one I challenge briefly the doubts of the narration of this hadith which have bad influences on all the researches that study the rhetoric of Prophet Muhammad's speeches.

The first chapter is entitled "The Rhetoric of Structure" while the second one is entitled "The Rhetoric of Imagery".

The conclusion shows the results of the study and the paper is concluded with a list of references and an index of its topics.

At the latest, Allah is behind my intent. He is sufficient and the best guardian.

Researcher

مقدمة

الحمد لله الكريم المَنَّان، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، وقبض بيمناه عنان البيان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان على مر الزمان، ما نبض قلبٌ ونطق لسان، وبعد،

فإن من فضل الله على عبده أن ييسر له صحبة كتابه تأملًا وتدبرًا، وقد أنعم الله عليَّ بهذا في بعض بحوثي السابقة، ومن تمام نعمته –عز وجل أن يسر لي صحبة كلام نبيه – عليه الصلاة والسلام لاستكناه بعض أسراره، ولاصطياد بعض لآلئه، هذا مع رهبة اكتنفتني عند إقدامي على هذا الأمر، وذلك لقلة الشروح البلاغية للسنة النبوية – التي يمكن الاسترشاد بها–، إذا ما قيست بتفسيرات القرآن الكريم المتنوعة، بالإضافة إلى أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم: من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، [1] ظل حائلًا بيني وبين الإقدام على خوض غمار كلامه عليه الصلاة والسلام لتحليله تحليلًا بلاغيًا فظللت زمانًا طويلًا أحاول الإقدام فيردني هذان الأمران، إلى أن تضرعت إلى الله عز وجل أن يعينني على محاولة تحليل كلام نبيه، للوقوف على مقاصده ومراميه، وكان هذا الدعاء في روضته الشريفة عليه الصلاة والسلام، فوجدت بعدها فيوضًا ربانية تنسال على خاطري، لتعطر بعد ذلك الصفحات فكان هذا البحث الذي عنونته (من بلاغة النبي العدنان في حديثه الطهور شطر الإيمان).

وكان مقررًا لهذا الحديث أن يكون جزءًا من كل في بحث يتناول موضوعًا من الموضوعات التي عنيت بها السنة النبوية، لولا فضل الله عليَّ ورحمته، حيث وجدت القلم يأبى التوقف – عند شروعي في تحليله– إلى أن ملأت عددًا غير قليل من الصفحات، تعليقًا وتحليلًا لهذا الحديث وحده، وأمثالها في غيره من الأحاديث، فآثرت إفراده بالدراسة.

خصوصًا لما وجدته من قيمة بالغة له، فقد قيل عنه: إنه أصل عظيم من أصول الدين، وقد جعله الإمام النووي بين الأربعين حديثًا التي اختارها لأهميتها، ولأن العلماء وصفوها بأوصاف جامعة من مثل أن هذا الحديث عليه مدار الإسلام، أو أنه يعدل نصف الدين، أو ثلثه، أو غير ذلك، وسوف يتبين من خلال الدراسة أن هذا الحديث– فيما أرى – يمثل الإيمان الكامل فمن تمسك بما فيه فقد نجا، وإلا فهو من الهالكين المهلكين لأنفسهم.

هذا مع تكامله مع العديد من الآيات القرآنية التي عُنيت بذكر الإيمان والأعمال الصالحة على النحو الآتي بيانه، فكان لزامًا عليَّ الموازنة بينه وبين بعضها.

تلك الأسباب جميعًا هي التي دفعتني لإفراد هذا الحديث الشريف بالدراسة، وينضم إليها

---

[1] متفق عليه ، ينظر صحيح البخاري تح محمد زهير بن ناصر الناصر ،كتاب الجنائز ، باب ما يكره من النياحة على الميت حديث رقم ١٢٩١،دار طوق النجاة ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ، وينظر صحيح مسلم، تح محمد فؤاد عبد الباقي ، باب في التحذير من الكذب على رسول الله ، حديث رقم ٣، دار إحياء التراث العربي بيروت.

رغبتي في إثبات أن نصوص الحديث الشريف من النصوص السخية التي تجود عليك بما لا يخطر لك على بال بشرط أن تحسن صحبتها، وإني لأخشى على دين من يزعم خلاف ذلك، أو ليست السنة متممةً للقرآن، أوليس صاحبها قد أخبر عنه ربه بأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ؟، وأخبر هو عن نفسه بأنه أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارًا.

وإني أقر بعجزي وتقصيري بعد كل ما كتبته حول بلاغة هذا الحديث، وآية ذلك أن عنونته ب من بلاغة النبي، وذلك أن الحديث ما زال فيه الكثير، وكلما عاودت النظر فيه جاد عليَّ ببعض أسراره، ولو أطلقت لقلمي العنان، لما انتهيت من الكتابة في هذا الحديث أبدًا.

وقد نهجت في دراسة هذا الحديث منهجًا بلاغيًا تحليليًا، يعنى بدراسة البناء، والتصوير في إطار كلي داخل النص، وذلك من خلال تحليل جميع العلاقات اللفظية الحسية المفضية إلى تلمس العلاقات الروحية المعنوية بين جميع أجزاء البيان النبوي، هذا مع رصد أهم السمات التركيبية، والفنية، والطرائق البيانية التصويرية التي روعيت في بناء النص بأكمله لتكون خير مترجم عن المحتوى الروحاني النوراني المنبثق من مشكاة النبوة.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد، ومبحثين وخاتمة، وثبت بأهم المصادر والمراجع، ثم فهرس لموضوعاته.

أما المقدمة فقد ذكرت فيها أسباب اختيار الموضوع، والمنهج المتبع في دراسته، وكيفية تقسيمه.

وأما التمهيد فقد شمل أمرين: الأول – حول الحديث ذكرت فيه نص الحديث مع بيان مكانته، والثاني– تناولت فيه بإيجاز الرد على شبهة رواية الحديث بالمعنى وما لها من أثر سيء يذهب بكل البحوث البلاغية التي تتناول الكلام النبوي الشريف.

وجاء المبحث الأول تحت عنوان من بلاغة البناء، وجاء المبحث الثاني تحت عنوان من بلاغة التصوير.

ثم جاءت الخاتمة، لتضم عددًا من أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة، وخُتِم البحث بثبت لأهم مصادره ومراجعه، وفهرس لموضوعاته.

هذا، والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

الباحث

تمهيد

أولا: حول الحديث

قبل الشروع في استجلاء الأسرار البلاغية، والدقائق التعبيرية الكامنة في البيان النبوي الذي معنا، يجدر بنا أن نلقي بعض الأضواء عليه ويتمثل ذلك فيما يأتي:

١-نص الحديث.

جاء في صحيح مسلم: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ هِلَالٍ، حَدَّثَنَا أَبَانُ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، أَنَّ زَيْدًا، حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا سَلَّامٍ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»[١]

٢- مكانة الحديث.

هذا الحديث من بين الأحاديث الأربعين التي جمعها الإمام النووي رحمه الله وقال عنها: (كل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين قد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه، أو هو نصف الإسلام أو ثلثه أو نحو ذلك)[٢].

وقال رحمه الله: (وينبغي لكل راغب في الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث، لما اشتملت عليه من المهمات، واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات وذلك ظاهر لمن تدبّره)[٣].

وقال رحمه الله أيضًا في شرحه على صحيح مسلم عن هذا الحديث: (هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ قَدِ اشْتَمَلَ عَلَى مُهِمَّاتٍ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ)[٤].

وسيظهر لنا من خلال التحليل البلاغي للحديث الذي معنا أنه يمثل الإيمان كله، فعلًا وتركًا حسيًا ومعنويًا على النحو المبيَّن لاحقًا، مما يجعله مادة جديرة بالدراسة والتحليل – كشأن جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام– للوقوف على ما به من أسرار بلاغية، ولطائف بيانية، تصور البلاغة النبوية في أبهى حللها

---

(١) صحيح مسلم تحـ محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، حديث رقم ٢٢٣.

(٢) ينظر الأربعون النووية تحـ قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشيخي، ص ٤٤، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت، ط ١، ٢٠٠٩م.

(٣) ينظر السابق ص ٤٥.

(٤) ينظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، جـ٣، ص١٠٠، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ٢، ١٣٩٢ هـ.

ثانيًا: إبطال شبهة رواية الحديث بالمعنى.

كان من الممكن إغفال التعرض لهذه القضية، خصوصًا أنها لا تندرج تحت عنوان البحث، لولا ما لها من خطر تجلى على ألسنة كثير من الباحثين، يتمثل في دحض كل ما جاء في هذا البحث وفي غيره من بحوث بلاغية تتخذ من الحديث النبوي الشريف مادةً لها، بحجة أنه ليس من لفظ الرسول عليه الصلاة والسلام، ولذا لم أجد غضاضة في الإشارة الموجزة العجلى إلى هذه القضية، لبيان أنها قضية قد قُتِلت بحثًا ولا ينبغي لأحد أن يرددها، راميًا إلى نسف كل البحوث البلاغية التي تتناول البيان النبوي.[١] وأول ما تجب الإشارة إليه هو التفرقة بين اللفظ والنظم والأسلوب فلو صح أن الرواة يتصرفون في بعض الألفاظ فلا يعد هذا مدعاة للطعن في نسبة الحديث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، بخلاف ما لو ثبت أن تصرفهم تصرف مطلق يشمل الهياكل والأنماط والتراكيب فحينئذ يمكن الحكم بعدم صلاحية النصوص المروية بالمعنى للتحليل البلاغي على أساس كونها من البيان النبوي.

هذا مع الإقرار بأن اختلاف الألفاظ ربما يكون ناتجًا عن اختلاف المواقف، مما يعد سببًا لثراء النصوص النبوية، وليس مبررًا لحرمانها من نسبها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.

وقد انبرى عدد من الباحثين المحدثين لإثبات القيمة اللغوية والنحوية للحديث النبوي، وإثبات أنه كان مادة ثرية لدى علماء النحو واللغة يستشهدون به لإثبات قواعدهم، على الرغم من قلة هذا الاستشهاد عند قياسه بغيره من النصوص، وقد عمل هؤلاء الباحثون على التعليل لهذه القلة، وليس ههنا مجال التفصيل وحسبنا الإلماح.

(وقد عرض د. السيد الشرقاوي ٢٠٠١م في كتابه "معاجم غريب الأثر والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو" لبعض الدراسات التي اهتمت بمناقشة هذه القضايا ومنها دراسة د. خديجة الحديثي في كتابها: "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف" ١٩٨١م، ولعلها – فيما نعلم – أولى الدراسات التي عالجت هذه القضايا وأن الدراسات الأخرى تبعتها)[٢].

(ثم تبعها د. محمد رضا حمادي: "الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية" ١٩٨٢م، ثم دراسة د. محمد إبراهيم البنا: "أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي" ١٩٨٥م، ثم دراسة د. محمود فجال: "السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي" ١٩٨٦م[٣].

(ونلفت بداية إلى ما قامت به د. خديجة الحديثي ١٩٨١م في كتابها: "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف" الذي أحصت فيه

---

[١] كثير مما ذكر في هذا الموضوع مقتبس من معالجة الدكتور عيد بلبع لهذه القضية في بحثه القيم مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، مع تصرف شديد.

[٢] ينظر مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، السياق وتوجيه دلالة النص للدكتور عيد بلبع ص ٧٧ وما بعدها، ط١، ٢٠٠٨ م.

[٣] ينظر السابق نفسه.

استشهاد النحاة المتقدمين بالحديث النبوي الشريف واستدلالهم به، وهم أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وسيبويه، ثم تتبعت شواهد الحديث عند كل من المبرد والزجاج وابن السراج وأبي بكر بن الأنباري والزجاجي وابن النحاس وابن درستويه وابن خالويه، إلى عصر ابن مالك وأبي حيان وقد بلغت هذه الأحاديث (٨٧) حديثًا نبويًا شريفًا)[١].

(ثم كانت دراسة د. عودة خليل أبو عودة ١٩٩٠م: "بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين".

وقد أشار د. عودة إلى إحصائيات الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في عشرين كتابًا من كتب النحو، من سيبويه ١٨٠هـ حتى الأشموني ١٠٢٩هـ فبلغت ٦٤٢ حديثًا)[٢].

وقد علل د. عودة خليل لقلة الاستشهاد بالحديث عند النحاة المتقدمين بأن الحديث لم يكن قد تم تدوينه في كتب الصحاح المعروفة، وأن حفظه كان مقصورًا على المحدثين آنذاك[٣].

وبناء على هذا فإن رواية الحديث بالمعنى قد كانت قبل مرحلة تدوينه، فهي منحصرة في مدة زمنية محدودة فيما قبل التدوين، ولم تكن من كل أحد، بل ممن تتوافر فيهم شروط خاصة، وقد علمنا ما يلزم به المصنفون أنفسهم من التحري والدقة في إثبات الأحاديث بألفاظها.

وقد جاء في كتاب د. عودة أبو عودة بناء الجملة في الصحيحين تعرضه للأدلة التي استند إليها في إثبات أن الحديث النبوي الشريف مروي بلفظه، وقد قسم الأدلة إلى أدلة خارجية وأدلة داخلية، وبعد أن ذكر الأدلة الخارجية أخذ في استنباط الأدلة الداخلية التي تعين على القطع بإثبات الرواية باللفظ.

وقد بلغ عدد الأدلة الداخلية التي استنبطها أربعة وعشرين دليلًا، نشير إلى أهمها فيما يأتي:[٤]

١- تردد الرواة في بعض كلمات الحديث حرصًا منهم على روايته كما ورد.

٢- ورود بعض الكلمات مما لا يعرفه الصحابة.

٣- إصرار النبي عليه الصلاة والسلام على لفظ بعينه، والنص على هذا الإصرار في الحديث.

٤- ذكر فقرات في بعض الأحاديث النبوية الشريفة، كسؤال مثلا، أو وصف، أو جملة معترضة، أو غير ذلك مما يمكن حذفه دون أن يختل المعنى أو ينقص الفكرة.

٥- النص على أن بعض الكلام للصحابي راوي الحديث، أو تعليقات من بعض الصحابة، أو أن يأتي في نص الحديث الشريف توكيد لفظي.

---

(١) ينظر السياق وتوجيه الدلالة ص ٧٨.

(٢) ينظر السابق نفسه.

(٣) ينظر بناء الجملة في الصحيحين د. عودة خليل، ص ٩١ ط٢، دار البشير عمان الأردن، ١٩٩٤م.

(٤) ينظر بناء الجملة في الصحيحين ص ١١٩ وما بعدها بتصرف شديد، وينظر السياق وتوجيه الدلالة ص ٩٢ وما بعدها.

٦- خروج الراوي من نص الكلام الحرفي للنبي صلى الله عليه وسلم إلى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم بضمير الغائب في الأحاديث التي تتضمن إشارات جسدية، أو رواية كلمات بعينها نطق بها النبي صلى الله عليه وسلم تمثيلًا لمعنى أو صورة، فجاء الرواة ونطقوا بها ومثلوها كما شاهدوها.

وغير ذلك من أدلة ذكرها الباحث، ليثبت أن الحديث الشريف قد روي بلفظه ونصه.

وبعد، فقد أشرت آنفًا إلى أن اختلاف بعض ألفاظ الحديث نظرًا لاختلاف الروايات يمكن أن يرجع إلى اختلاف المواقف، هذا مع الإقرار بعدم التناقض بين هذه الروايات، ومع الإقرار أيضًا بأن هذا الاختلاف في بعض الألفاظ يعد سببًا لثراء الحديث، اتكاءًا على حقيقة أنه جاء ممن لا ينطق عن الهوى.، ومن المعلوم أن اختلاف الألفاظ بين الروايات يعد قليلًا جدًا إذا ما قيس بالروايات المتفقة الألفاظ، فلا يمكن أن يُتخذ سببًا لتعميم القول برواية الحديث كله بالمعنى.

وأخيرًا فقد ذهب الدكتور عيد بلبع إلى أن وجود كثير من الظواهر البلاغية والأسلوبية مطردةً في الأحاديث النبوية، يقطع بتفنيد شبهة رواية الحديث بالمعنى[١].

وأما الحديث الذي معنا، فإذا ما نظرنا إلى اختلاف الألفاظ في رواياته فنجد أن بعضها يكون من قبيل المرادفات، كأن تذكر رواية أن الطهور شطر الإيمان، وتذكر أخرى أن الطهور نصف الإيمان،، أو أن الألفاظ المختلفة قد يكون بعضها عامًا والآخر خاصًا، كأن تذكر بعضها أن الوضوء شطر الإيمان،، وتذكر أخرى أن الطهور شطر الإيمان ومعلوم أن الطهور أعم من الوضوء، وهكذا فإن اختلاف الرواية في الحديث الذي معنا تؤدي إلى الثراء، ولا يمكن بحال أن تُردَّ رواية بأخرى بل تكمل إحداهن أختها، وقد مر أن هذا الاختلاف ربما يكون ناتجًا عن اختلاف المواقف[٢].

---

[١] ينظر السياق وتوجيه الدلالة ص ٩٧ وما بعدها.

[٢] للوقوف على مزيد من روايات الحديث، وطرقه المختلفة يمكن الرجوع لكتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي جـ٢ صـ ٥ وما بعدها.

المبحث الأول
من بلاغة البناء في الحديث

للتعرف على فكر، وعقل وخواطر أي كاتب أو أي قائل لابد أولا من التعرف على طرق بنائه لكلامه، وما يراعيه من خصوصيات في هذا البناء، لأن الغاية الأسمى هي تلمس أرواح المعاني الكامنة في أجساد المباني، هذا كلام ينطبق على كل كاتب أو قائل من البشر على تفاوت بين أقدار المعاني عند كل أحد، فما بالنا إذا ما كان ذلك القائل هو أفصح البشر الذي أخبر عنه ربه بأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فلا ريب أن سمو معانيه وأفكاره الناجم عن سمو روحه سوف يتجلى في تراكيب كلامه، بغية التأثير في مخاطبيه ومتلقيه على مر العصور، وسوف أحاول فيما يأتي إماطة اللثام عن بعض أسرار التراكيب ودقائق البناء في أحد أحاديثه عليه الصلاة والسلام وهو حديث الطهور شطر الإيمان.

١- كون الجمل خبرية اسمية

أول ما يستوقفنا في هذا البيان النبوي الرفيع، هو مجيئه في سلسلة متصلة من الجمل الخبرية التي تدل على يقين قائلها بمحتواها، كما تشي بثقته المطلقة بما يقول فكأنه يلقي بمسلمات لا يتطرق إليها الشك مطلقًا، ولا تظن المخالفة فيها أبدا خصوصا مع خلوها من وسائل التوكيد، إذا ما تغافلنا عن كون الجملة اسمية من المؤكدات بناء على ما ذكره الدسوقي من أنها لا تكون كذلك إلا عند قصد المتكلم، أو عندما ينضم إليها مؤكد آخر حيث قال: [إن اسمية الجملة ليست للتأكيد مطلقا، بل إذا اعتبرت مؤكدا بأن قصد التأكيد بها... وإن تأكيدها ليس على سبيل الاستقلال، بل على سبيل التبعية، فإن كان هناك مؤكد آخر جعلت اسمية الجملة من المؤكدات، وإلا فلا][1].

وعليه فلا يمكن القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نزَّل الصحابة منزلة المتطلعين لخطابه المتطلبين له – فتلك حالهم دوما– فساق لهم كلامه في جمل خبرية اسمية مؤكدة بمؤكد واحد هو اسمية الجملة فيكون الكلام من الضرب الطلبي. والأقرب كونه من الضرب الابتدائي حيث إنهم غير عالمين بتلك الحقائق التي سيقت إليهم في هذا البيان، بالإضافة إلى ما ذُكر من يقينه المطلق، وثقته المتناهية بما يقول، فهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

كما تضمن الإخبار عن هذه الحقائق بالأسلوب الخبري دعوةً منه– صلى الله عليه وسلم– إلى أصحابه للحرص على إتيانها والإكثار منها، فقد أمرهم وحثهم بأسلوب يتسم بغاية الرقة والتلطف ومجانبة الأمر الصريح حيث بين لهم قيمة هذه الأفعال ومزاياها التي لا ينبغي لعاقل أن يفوتها، مما كان له بالغ الأثر في التمكين لهذه الحقائق في نفوس السامعين، ذلك التمكين الذي هو الغاية الأسمى من وراء الخطاب النبوي الذي يمكن تصنيفه على أنه خطاب تعليمي بليغ، بل إنه في الذروة من البلاغة خلافًا لما شاع من تدني المستوى الفني للخطابات التعليمية، وهذا الحكم على الخطاب التعليمي –

---

[1] حاشية الدسوقي تحـ عبد الحميد هنداوي، جـ١ ص ٣٨٨، المكتبة العصرية بيروت.

إن جاز في غير الحديث النبوي – فليس بجائز فيه أبدًا.

وقد أشاعت الجمل الخبرية الاسمية جوًا من الهدوء والرزانة في الحديث كله، وكان التعبير بها في هذا المقام أولى من التعبير بالجمل الفعلية وذلك لأن القصد من سوقها هنا هو إثبات تلك الحقائق وبيان دوامها إلى قيام الساعة.

ومعلوم الفرق بين التعبير بالفعل والتعبير بالاسم وأن لكل واحد منهما مقامًا لا يغني فيه غيره وقد أوضح الرازي هذا بقوله: [الاسم، له دلالة على الحقيقة دون زمانها، فإذا قلت: "زيد منطلق" لم يفد إلا إسناد الانطلاق إلى زيد. وأما الفعل، فله دلالة على الحقيقة وزمانها. فإذا قلت: "انطلق زيد" أفاد ثبوت الانطلاق لزيد في زمان معين، وكل ما كان زمانيًا فهو متغير، والتغير، مشعر بالتجدد...

فإن كان الغرض من الإخبار الإثبات المطلق غير المُشعر بزمان وجب أن يكون الإخبار بالاسم، كقوله تعالى: (وكلبُهُمْ باسطٌ ذِراعَيْه بالوصيد) (الكهف/١٨. لأنه ليس الغرض إلا إثبات البسط للكلب. فأما تعريف زمان ذلك فغير مقصود.

وأما إذا كان الغرض من الإخبار به الإشعار بزمان ذلك الثبوت فالصالح له، هو الفعل. كقوله تعالى: (هل مِنْ خالقٍ غَيرُ اللهِ يرزُقُكُمْ منَ السَّماءِ والأرضِ) (فاطر ٣٥) فإن تمام المقصود، لا يحصل بمجرد كونه معطِيًا للرزق، بل بكونه معطِيًا للرزق في كل حين وأوان][1].

٢- بلاغة الترتيب

ثم إن ترتيب الجمل في هذه الرواية جاء على نسق عجيب، حيث افتتح الحديث بذكر الطهور مخبرًا عنه بكونه شطر الإيمان، ثم أتبعه بالحديث عن حمد الله والثناء عليه وتسبيحه فيما يندرج تحت الذكر مخبرًا عنه أيضا بأخبار تبين قيمته البالغة وثوابه العظيم، ثم أردف ذلك بالحديث عن الصلاة وتشبيهها بالنور، وبالحديث عن الصدقة وتشبيهها بالبرهان، وعن الصبر وتشبيهه بالضياء وعن القرآن وكونه إما حجة للمرء وإما حجة عليه ثم ينفصل هذا العقد من اللؤلؤ عن آخر جوهرة لفظية في الحديث وهو قوله كل الناس يغدو... – وهي واسطة العقد – للسر الذي سنتعرض له لاحقا. أقول إن ترتيب الجمل على هذه الشاكلة قد توخى التدرج في الإيمان حيث أخبر في أول جملة منه عن الطهور بأنه شطر الإيمان وبما ذُكِر بعده يكتمل الإيمان فكماله بالذكر وبالصلاة وبالصدقة والصبر والعمل بما في الدستور الرباني القرآن فقد صدق من قال إن هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام قد اشتمل مهمات من قواعد الدين[2].

---

[1] نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي تحـ الدكتور نصر الله حاجي مفتي أوغلي ص ٧٩ وما بعدها بتصرف، دار صادر بيروت، ط ١، ٢٠٠٤ م.

[2] ينظر المعين على تفهم الأربعين لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحـ: الدكتور دغش بن شبيب العجمي، ص ٢٧٣، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، حولي – الكويت، ط ١، – ٢٠١٢ م وينظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي جـ٣ ص ١٠٠.

والمراد بالطهور الفعل وهو أعم من الوضوء [والمراد به أيضا الطهارة من المستخبثات الباطنة][١].

وقيل: المراد بالطهور: تزكية النفس عن الأخلاق الرديئة، فيكون شطرًا للإيمان الكامل[٢].

وقال بعض المحققين: الطهور: تزكية النفس عن العقائد الزائغة والأخلاق الذميمة، وهي شطر الإيمان الكامل، فإنه عبارة عن مجموع: أحدهما: تزكية النفس عن ذلك.

وثانيهما: التحلية بالاعتقادات الحقة والشمائل المحمودة [٣].

قال ابن فارس: [(طَهَرَ) الطَّاءُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى نَقَاءٍ وَزَوَالِ دَنَسٍ. وَمِنْ ذَلِكَ الطُّهْرُ، خِلَافُ الدَّنَسِ. وَالتَّطَهُّرُ: التَّنَزُّهُ عَنِ الذَّمِّ وَكُلِّ قَبِيحٍ.] [٤].

[والطهارة التنزه عن الأدناس ولو معنوية] [٥]

فالطهور لا يقتصر على الطهارة الحسية– كما فهمه كثيرون من شراح الحديث– وإنما يتعداه إلى الطهارة المعنوية كذلك وبهذا المفهوم فإنه يرتبط ارتباطًا وثيقا بكل ما ذُكر في الحديث بعده فلا يصح الذكر لله والثناء عليه باللسان فقط بل لابد من طهارة القلب ونقائه ونطقه بالحمد والتسبيح قبل اللسان وكذلك الصلاة لا تصح بدون الطهارة الحسية والطهارة المعنوية كذلك، ولا تقبل الصدقة إذا شابها الرياء فلابد فيها من طهارة القلب وأما الصبر فربما يبديه الإنسان وقلبه ساخط ناقم فلا يمكن أن يكون صابرًا، ولا يكون الصبر له حينئذ ضياءً كما أخبر الصادق المصدوق، وكذلك لابد من الطهارة بنوعيها عند قراءة القرآن والعمل بما فيه فنلحظ دخول الطهور في كل ما ذكر في الحديث لذا كانت البداية به فهو الأساس والقاعدة التي ينبني عليها ما بعده ولذا فقد اتسم هذا البيان النبوي الرفيع بجمعه بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال حيث ناسب ابتداؤه مقصوده[٦].

وأما عن بلاغة ترتيب جمله فواضح مما ذكرته من ضرورة كون جملة الطهور شطر الإيمان هي البداية فإذا ما تخلى الإنسان عن الشرك وعن المعاصي بعد طهوره المعنوي فإنه ولا ريب يعمد إلى ذكر الله حامدًا ومسبحًا، وتلك درجة أعلى من درجات القرب من الله، وأعلى منها الصلاة التي ذكرت بعد ذلك وهي الصلة بين العبد وبين ربه لذا جاءت بعد الطهور والذكر، فإذا ما اتصل الإنسان بربه تجرد له

---

(١) ينظر السابق نفسه.

(٢) ينظر شرح مصابيح السنة للإمام البغوي لابن الملك تحـ لجنة بإشراف نور الدين طالب، جـ١، صـ٢٢٦، إدارة الثقافة الإسلامية، وزارة الأوقاف الكويتية، ط ١، ٢٠١٢م.

(٣) ينظر تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للقاضي ناصر الدين البيضاوي تحـ لجنة بإشراف نور الدين طالب، جـ ١ صـ١٦٧، وزارة الأوقاف بالكويت، ٢٠١٢ م.

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس مادة الطاء والهاء والراء تحـ عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩ م.

(٥) الكليات لأبي البقاء الكفوي تحـ عدنان درويش، ص ٥٨٢، مؤسسة الرسالة بيروت، د ت.

(٦) ينظر بغية الإيضاح لعبد المتعال الصعيدي جـ ٤ صـ ١٣٤، مكتبة الآداب، ١٩٩٩ م

بكامله وهانت عليه دنياه فتخلى عما في يديه من عرض الدنيا رغبةً فيما عند الله ولذا فقد جاءت الصدقة رابعة بعد الصلاة، وقد يواظب الإنسان على الطاعة، وعلى اجتناب المنهي عنه وقد تفتر همته وربما ابتلي بما أسخطه على ربه ولذا فقد جاء الصبر خامسًا بعد الصلاة والصدقة والأصل في فلاح الإنسان أو عدم فلاحه هو تمسكه وعمله بما جاء في الدستور الإلهي القرآن ولذا ختم به هذا العقد الثمين من أصول الدين.

٣- بلاغة الوصل والفصل

وقد اشتمل الحديث على تسع جمل سبعة منها موصولة بالواو وهي من أول قوله: الطهور شطر الإيمان إلى قوله والقرآن حجة لك أو عليك، واثنتان موصولتان بالفاء وهما كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، مع ملاحظة انفصال هاتين الجملتين عن الجمل السبعة الموصولة بالواو.

ولعل السر في الوصل بين الجمل السبعة بالواو هو أن كل جملة من هذه الجمل وإن كانت مستقلة عن جارتها لتضمنها قاعدة مهمة من قواعد الدين إلا أنها لا يمكن أن تنفصل عنها لأنها تمثل درجة من درجات السلم الذي يُرتَقى به إلى الإيمان فبآخر درجة من درجاته يتلبس الإنسان بالإيمان الكامل الذي يتمثل في شطرين شطر الطهور وهو الخلوص من الأدناس الحسية والمعنوية وشطر الفعل وهو المتركب من الأمور المتضمنة في الجمل المعطوف بعضها على بعض.

هذا بالإضافة إلى أن العطف يقتضي التغاير فإن كانت هذه القواعد يكمل بعضها بعضا إلا أن كل واحد منها يستقل بأجره الكامل وثوابه العظيم.

ولعل السر في فصل الجملتين الأخيرتين عن الجمل السابقة عليهما هو كونهما بمنزلة التأكيد لها، وذلك لاندراج هذه الأشياء جميعا الطهور والذكر والصلاة إلخ تحت قوله: كل الناس يغدو أي يسعى فهو مجمل فالسعي إما بصالح وهو الذي دل عليه منطوق الجمل وإما بطالح وهو خلاف المذكور.

هذا بالإضافة إلى أن الفصل قد نبه المخاطب إلى أهمية المفصول حيث تضمن ذكر الجزاء على ما سبق، وذلك بناءً على الأثر الذي يحدثه الالتفات من أسلوب الوصل إلى أسلوب الفصل.

وقد تنزل جملة كل الناس يغدو من سابقاتها منزلة الجواب من السؤال حيث أثارت الجمل السابقة سؤالا عن حال الناس مع تلك الحقائق والقواعد من مهمات الدين، فجاء الجواب كل الناس يغدو.. مجملا، ثم فُصِّل، وهذا ما يسميه البلاغيون شبه كمال الاتصال، ويسمون الفصل لأجل ذلك بالاستئناف[١]

يقول الطيبي: [فإن قلت: ما وجه اتصال هذه الجملة بما قبلها؟ قلت: هي استئنافية علي تقدير سؤال سائل، قد تبين من هذا التقرير الرشد من الغي، فما حال الناس بعد ذلك. فأجيب: كل الناس يغدو إلي آخره. وموقع هذا السؤال موقع الفاء في قوله: { فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن

[١] الإيضاح بتعليق البغية جـ ٢ ص ٦٨ وما بعدها.

بِاللَّهِ } الآية، بعد قوله: { قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } والله أعلم] [١].

وقد أشار الإمام عبد القاهر إلى هاتين الحالتين من الوصل والفصل وعلل لهما بقوله: [الجمل على ثلاثة أضربٍ: جملةٌ حالُها مع التي قبلَها حالُ الصفةِ معَ الموصوفِ والتأكيدِ مع المؤكَّدِ، فلا يكونُ فيها العطفُ البتَّةَ، لِشبْهِ العَطْفِ فيها، لو عُطِفَتْ، بعَطْفِ الشيءِ على نَفْسِه.

(وهذا ما يسميه المتأخرون بكمال الاتصال وهو متحقق في جملة كل الناس يغدو المفصولة عما قبلها).

وجملةٌ حالها مع التي قبْلها حالُ الاسمِ يكونُ غيرَ الذي قَبْله، إلاَّ أَنه يُشارِكُهُ في حكْم، ويدخلُ معه في معنًى، مثْلَ أن يكونِ كِلا الاسْمَيْن فاعلًا أو مفعولًا أو مضافًا إليه، فيكون حقُّها العطف.

(وهذا هو المسمى بالتوسط بين الكمالين عند المتأخرين وهو متحقق في الجمل السبعة الموصولة المتفقة في الخبرية لفظًا ومعنى مع وجود الجامع المشار إليه آنفًا).

وجملةٌ ليستْ في شيء مِنَ الحالين، بل سبيلُها مع التي قبْلَها سبيلُ الاسم مع الاسم لا يكونُ منه في شيءٍ، فلا يكونُ إيَّاه ولا مشارِكًا له في معنى، بل هو شيء إذا ذُكِرَ لم يُذْكَر إلا بأمرٍ يَنفردُ به، ويكونُ ذكْرُ الذي قبلَه وتَرْكُ الذكْر سواءٌ في حالِه، لعدم التعلُّق بينَهُ وبينَهُ رأسًا. وحقُّ هذا تَرْكُ العطفِ البتَّةَ.

فَتْركُ العطفِ يكونُ إمَّا للاتصالِ إلى الغاية أوِ الانفصال إلى الغايةِ والعطفُ لما هو واسطةٌ بينَ الأمرينِ، وكانَ له حالٌ بينَ حاليَنْ، فاعرفْه][٢].

٤- بلاغة اصطفاء الكلمة

ومن أسرار التعبير في هذا البيان النبوي دقة اصطفاء الألفاظ التي تجلت في اصطفاء لفظ الطهور في مطلع الحديث لما لها من ارتباط وثيق بالأمور المذكورة فيما بعد على النحو الذي مر بيانه، وكان من الممكن أن يوضع لفظ الوضوء بدلا من لفظ الطهور كما هو الحال في بعض الروايات[٣] فتضيق الدائرة لتشمل الطهارة الحسية دون غيرها ولكن هذه الرواية آثرت لفظ الطهور لتفيد عموم الطهارة فتشمل الحسي منها والمعنوي على السواء. ومعلوم أنه لا تعارض بين الروايات الصحيحة.

ومن دقة اصطفاء الألفاظ تعبيره عن النصف في قوله: شطر الإيمان بلفظ الشطر والأصل في هذا اللفظ أنه بمعنى النصف، وقد يراد به الجزء على ما ذكره بعضهم[٤] وذلك ليكون عامًا يحتمل عددًا من التأويلات، ولا تعارض بين

---

[١] الكاشف عن حقائق السنن للطيبي تحـ عبد الحميد هنداوي، جـ٣، صـ٧٤٣، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط ١، ١٩٩٧ م.

[٢] ينظر دلائل الإعجاز تحـ شاكر صـ ٢٤٣ بتصرف، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة، ط ٣، ١٩٩٢ م.

[٣] جاء في سنن الترمذي بلفظ الوضوء شطر الإيمان حديث رقم ٣٥١٧، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط ٢، ١٩٧٥ م.

[٤] المعين على تفهم الأربعين جـ ١ صـ٢٧٤.

أن يكون المراد به النصف، وبين أن يكون المراد به الجزء فالمهم أن الطهور يمثل جزءًا مهمًا من أجزاء الإيمان ربعًا كان أو ثلثًا أو نصفًا.

ومن دقة اصطفاء الألفاظ أيضًا التعبير بالفعل تملأ خبرًا عن عبارة الحمد لله في قوله: والحمد لله تملأ الميزان وكذلك التعبير بالفعل تملآن في قوله: وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والأرض، وذلك لما تومِئ إليه هاتان اللفظتان من بيان عظم قدر الذكر حيث تخيلان إلى المخاطب مجيء ثواب هذا الذكر أو مجيئه بذاته في صورة حسية هائلة تسد جميع فراغات الميزان على الرغم من ضخامة حجمه، وكذلك الحال في سد الفراغ بين السماء والأرض على بعد ما بينهما.

ولا نجد هذه الصورة المتخيلة تتمثل في ذهن المخاطب عند استخدام لفظ آخر كلفظ تثقل الميزان أو ترجح الميزان لأن الشيء ربما يكون ثقيل الوزن ضئيل الحجم.

هذا بالإضافة إلى ما تفيده صيغة الفعل المضارع من التجدد والحدوث وكأنها إشارة إلى تضعيف الأجر مرة بعد مرة.

ومن دقة اصطفاء الألفاظ في هذا الحديث أيضًا اصطفاؤه للفظ يغدو في قوله: كل الناس يغدو الذي جاء كناية عن السعي [١] خبرًا عن المسند إليه كل المفيد للعموم، المضاف إلى الناس الدال عليه أيضًا.

ولكن التعبير النبوي آثر لفظ يغدو دون يسعى لما فيه من دلالة على الفرصة التي تتجدد أمام العبد في كل يوم ليتوب إلى ربه، وليتلبس بالإيمان الكامل القائم على شطري الترك لكل الأدناس، المعبر عنه بالطهور في أول الحديث، والمزاولة لكل الأعمال الحسية والقلبية التي يتم بها الإيمان والمعبر عنه بالحمد والتسبيح والصلاة والصدقة وغيرها.

وذلك لأن الغدو هو السير في أول النهار [٢] ففيه إشارة إلى البداية التي تتجدد في كل يوم فكأن التعبير النبوي يلفتنا إلى أن الإنسان يولد في كل يوم ميلادًا جديدا، فينبغي عليه أن يغتنم الفرصة التي تجددت له فيقبل على طاعة الله والائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه.

ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٤١) اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) الزمر.

يقول الرازي: [الْمَقْصُودُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّهُ تَعَالَى يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَعِنْدَ النَّوْمِ إِلَّا أَنَّهُ يُمْسِكُ الْأَنْفُسَ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى وَهِيَ النَّائِمَةُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى أَيْ إِلَى وَقْتٍ ضَرَبَهُ لِمَوْتِهَا فَقَوْلُهُ تَعَالَى: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ

---

[١] فسر ابن دقيق العيد جملة: كل الناس يغدو بقوله أن كل إنسان يسعى بنفسه... ينظر شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد، ص ٨٦، مؤسسة الريان، ط ٦، ٢٠٠٣ م.

[٢] لسان العرب لابن منظور غدا، دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ..

حِينَ مَوْتِها يَعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ الَّتِي يَتَوَفَّاهَا عِنْدَ الْمَوْتِ يُمْسِكُهَا وَلَا يَرُدُّهَا إِلَى الْبَدَنِ وَقَوْلُهُ: وَيُرْسِلُ الْأُخْرى إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى يَعْنِي أَنَّ النَّفْسَ الَّتِي يَتَوَفَّاهَا عِنْدَ النَّوْمِ يَرُدُّهَا إِلَى الْبَدَنِ عِنْدَ الْيَقَظَةِ وَتَبْقَى هَذِهِ الْحَالَةُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، وَذَلِكَ الْأَجَلُ هُوَ وَقْتُ الْمَوْتِ فَهَذَا تَفْسِيرُ لَفْظِ الْآيَةِ وَهِيَ مُطَابِقَةٌ لِلْحَقِيقَةِ.] (١)

ويؤيده أيضًا قوله تعالى: [وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ الأنعام (٦٠).

فالإنسان إذا ما أنعم الله عليه بميلاده الجديد في صباح كل يوم فبإمكانه أن يراجع نفسه فيما مضى وأن يصلح ما أفسد، ولذا فقد عبر الحديث بلفظ يغدو دون لفظ يسعى اللازم عنه لما فيه من هذه الإشارة، ولما فيه أيضا من إشارة إلى أن الإنسان لا يُظلَم، وإنما يظلم نفسه وهذا ما يؤكده الحديث فيما بعد في قوله: فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، [فَمَعْنَاهُ كُلُّ إِنْسَانٍ يَسْعَى بِنَفْسِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَبِيعُهَا لِلَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ فَيُعْتِقُهَا مِنَ الْعَذَابِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَبِيعُهَا لِلشَّيْطَانِ وَالْهَوَى بِاتِّبَاعِهِمَا فَيُوبِقُهَا أَيْ يُهْلِكُهَا] (٢).

٥- بلاغة تضافر اصطفاء الكلمة مع الطباق والتقسيم

وتتجلى دقة التعبير واصطفاء الألفاظ في آخر لفظة من الحديث وهي قوله: موبقها فلماذا أوثرت على لفظة مهلكها وإن كانت قد فسرت بها؟

إذا عرفنا أن من معاني أوبق الحبس (٣) وأن من معاني العتق كونه خلاف الرق وهو الحرية(٤) أدركنا التقابل الكائن بين قوله: فمعتقها أو موبقها إذ الإعتاق إطلاق ومنح للحرية، والإيباق حبس وتقييد عن الخير يلزم عنه الإهلاك، هذا بالإضافة إلى ما جاء من نوادر الأعراب في قولهم:

وبِقَتِ الإبلُ في الطين إذا وَحَلَتْ فنشِبَتْ فيه(٥).

مما يجعل لهذه اللفظة دلالة على شناعة المصير الذي يلقي الإنسان فيه نفسه.

وعليه فلم يكن من الممكن أن يأتي لفظ مهلكها بدلا من لفظ موبقها لما يترتب عليه من فوات المطابقة بين الحالين حال الإعتاق وحال الإيباق.

تلك المطابقة التي أدت دورًا مهمًا في بناء المعنى في هذه الفقرة من الحديث وفي غيرها أيضًا.

حيث تضافرت في هذه الفقرة مع حسن التقسيم فقد جاء بيع النفس متعددا مجملا في قوله: فبائع نفسه، ومعلوم أن بيعه إياها إما لله، وإما لشيطانه وهواه، ثم جاء متعدد آخر مفصل يتصل بالمتعدد الأول في قوله: فمعتقها أو موبقها

(١) مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، ج.٢٦، صـ ٤٥٦، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.
(٢) شرح النووي لصحيح مسلم، جـ٣، صـ ١٠٢.
(٣) اللسان وبق.
(٤) السابق عتق.
(٥) السابق وبق.

وهذا ما يسمى بتقسيم اللف والنشر لمجيئه على طريقته [١].

وقد أفاد هذا التقسيم انحصار الطرق أمام الإنسان فليس أمامه إلا أحد طريقين إما إعتاق نفسه، وإما إِيْبَاقُها.

وقد أسهم الطباق بدور عظيم في بيان الهوة بين الحالين، وذلك لما له من قدرة على إبراز المعاني بوضعها بإزاء بعضها البعض، فكأن المتكلم عندما يعمد إلى الطباق أو المطابقة فإنه يقوم بدور الوسيط المصلح بين المتشاحنين، فيجمع بينهما في مكان واحد كجملة من النثر، أو بيت من الشعر، ويعطي لكل واحد منهما الفرصة ليعبر عن نفسه، حتى يتمكن المتلقي من إدراك الموقف من جميع أوجهه، وكثيرا ما تؤدي المواجهة بين المتخاصمين إلى إفشاء الأسرار، وانكشاف ما كان خافيا، وهذا ما تحقق في الحديث الشريف حيث جُمع بين المصيرين الذين يؤول الإنسان إلى أحدهما –إعتاق النفس من العذاب، أو إنشابها فيه فيهلك – في مكان واحد ليتأمل المخاطب كل واحد منهما ليختار لنفسه وبنفسه المصير الذي يرجوه. ولست أظنني مغاليًا حينما أقول: إن تلك العملية هي جوهر القيمة البلاغية لفن الطباق لأن فلسفة الطباق تقوم على توضيح المعاني بمواجهتها بنقيضها، ودائما النفوس تعجب وتطرب حين يعرض عليها الشيء وضده، لأنها حينئذ ترى الأمور على أكمل درجات الوضوح، والضد يظهر حسنه الضد.

أقول: قد تضافر كل من التقسيم والطباق في فقرة كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي يأتيان فيها في الحديث فقد جاء الطباق في قوله: والقرآن حجة لك أو عليك، حيث وقع بين الحرفين اللام الدال على الملك المؤذن بالانتفاع، وعلى الدال على الاستعلاء المؤذن بالتحمل والتضرر [٢]، وقد أفاد مجيئه في هذا المقام أن الفرصة ما زالت سانحةً أمام الإنسان للاختيار فإما أن يكون من الفائزين المنتفعين، وإما أن يكون من الخاسرين المتضررين ويقال في هذا الطباق ما قلناه في الطباق بين معتقها وموبقها.

كما جاء التقسيم بنوع آخر في الجمل السبعة الأولى من أول قوله: الطهور شطر الإيمان وإلى آخر قوله: والقرآن حجة لك أو عليك حيث ذكرت أمور متعددة، وذُكِر إلى جانب كل واحد منها ما يتعلق به وهذا ما يسمى بالتقسيم المُذَيَّل [٣].

وقد أفاد هذا النوع من التقسيم بيان عظم أثر ومكانة كل عبادة من العبادات المذكورة فالصلاة كالنور، والصبر كالضياء إلخ مع بيان اختصاص كل واحدة منها بما أخبر به عنها وتلك الدلالة تتضافر مع دلالة العطف على كون كل واحدة من هذه العبادات – على الرغم من ارتباطها

---

[١] لا فرق بين اللف والنشر والتقسيم إلا في تعيين الثاني فإن كان متعينًا فهو التقسيم، وإن كان غير متعين فهو اللف والنشر إذ اللف والنشر هو: ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم "ذكر" ما لكل واحد من غير تعيين؛ ثقة بأن السامع يرده إليه. ينظر الإيضاح بتعليق البغية جـ ٤ صـ٣٠.

[٢] بغية الإيضاح جـ ٤ صـ ٥.

[٣] البلاغة العربية للميداني جـ ٢، ص ٤١١، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.

بجاراتها – رأسًا بذاتها وقاعدةً مستقلةً لها قيمتها وخطرها.

وقد عُلِّلَ تخصيص هذه العبادات بالذكر دون غيرها- بعد أن فُسِّرَ الإيمان بشُعَبِهِ – ببيان فائدتها، وفخامة شأنها[1].

ومن العجيب في تركيب جمل هذا الحديث أن خُتمت ثلاثة منها بالألف والنون في قوله الطهور شطر الإيمان، وقوله: والحمد لله تملأ الميزان، وقوله والصدقة برهان، وذلك أننا لو نطقنا بهذه الكلمات منفردة منتزعةً من جملها لكانت على الترتيب الإيمان، الميزان، برهان فنجد أن ههنا شيئًا مشتركًا بين هذه الكلمات الثلاث حيث إن الحديث كله يدور على بيان الإيمان فكانت البداية به، ولكي يُعرف إن كان الإنسان قد حقق الإيمان أو لم يحققه أو حقق منه شيئا، أو بلغ فيه درجةً ما فلابد من الميزان ولذا فقد ذُكرت ثانيةً، وبما يسفر عنه ذلك الميزان يحصل الإنسان على حجته وبرهانه الذي يستوجب به الجزاء على ما قدم ولذا فقد ذُكر البرهان ثالثًا.

ثم إن المستمع لهذا الحديث المتأمل لمعانيه يحضر بذهنه عدد كبير من الآيات القرآنية التي تُعنى بذكر الإيمان والعمل الصالح ومن أبرز هذه الآيات سورة العصر – على قلة كلماتها–، إلا أنني أزعم أنها أدت جميع ما في الحديث من معان يقول الله تعالى: وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)

نجد السورة قد افتتحت بذكر العصر مقسمًا به والمراد به الدهر عمومًا وقد مر بنا في بيان بعض ألفاظ الحديث ذكر قوله صلى الله عليه وسلم كل الناس يغدو وهذا ذكر للزمان أيضًا لأن الزمان هو ظرف لجميع أفعال العباد فذكر في الآية أولا كما أنه قد ذُكر في الحديث على النحو الذي مر بيانه، ليبين عليه الصلاة والسلام أن العمل في هذا الزمان يترتب عليه إما الفلاح ومن ثم العتق من النيران وهذا مذكور في السورة أيضًا إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنو وعملوا الصالحات فقد حكمت الآية على جميع الناس بالخسران إلا من آمن وعمل صالحًا، والحديث الشريف ذكر الإيمان، وبيَّن أصول الصالحات الصلاة، الصدقة، الصبر، العمل بالقرآن، تلك الأمور التي يشترط لصحتها ولقبولها طهارة القلب المبدوء به في الحديث، ثم خُتم الحديث بجملة كل الناس يغدو، فتطابق هذا التعميم مع قوله تعالى إن الإنسان لفي خسر... ثم ذكر الحديث فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها مبينًا الجزاء على الإيمان والعمل الصالح فعلًا أو تركًا، وذكرت الآية الاستثناء إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات مخرجةً لهم من دائرة الخاسرين، مما يترتب عليه الحكم بفلاحهم وفوزهم.

هذا وقد ختمت الآية بتخصيص صفتين من الأعمال الصالحات بالذكر بعد اندراجهما في عموم قوله: وعملوا الصالحات، وذلك للتنبيه على أهميتهما، وأنهما ذات شأن عظيم والصفتان هما

---

[1] الكاشف عن حقائق السنن للطيبي تحـ عبد الحميد هنداوي، جـ ٣، صـ٧٤٢.

التواصي بالحق، أي بكل ما يحق القيام به والأولى حمله على العموم، والتواصي بالصبر.

وسيأتي كيف اهتم البيان النبوي بذكر بعض العبادات والأعمال الصالحات كالصلاة والصدقة والصبر مصورًا إياها بطريقة تحث السامعين على ملازمتها، والمواظبة عليها.

(وأيضًا التواصي بالصبر مما يندرج تحت التواصي بالحق فإفراده بالذكر وتخصيصه بالنص عليه من أعظم الأدلة الدالة على إنافته على خصال الحق ومزيد شرفه عليها، وارتفاع طبقته عنها، وكرر الفعل لاختلاف المفعولين)[١].

ولو ذهبنا نستقصي وجوه الاتفاق بين الحديث وبين السورة القصيرة لاحتجنا أن نفرد هذا الموضوع بالبحث، وغاية ما أرمي إليه الآن هو إثبات ذلك التكامل بين الكتاب والسنة، مع وجود الإعجاز في النص القرآني، وتحقق البلاغة في ذروتها في البيان النبوي مع كونه تابعًا للقرآن.

وأخيرًا فهناك ملمح صوتي أجده في الحديث وأجده كذلك في السورة وهو حرف الصاد الذي تكرر في الحديث في كلمات الصلاة والصدقة والصبر وأجده في السورة في لفظ العصر المفتتح به وفي لفظ الصبر المختتم به.

ولعل السر وراء اصطفاء هذه الألفاظ المشتملة على هذا الحرف هو ما يمتاز به من دلالة على القوة والصلابة فحرف الصاد حرف مهموس، رخو، يقول عنه العلايلي: إنه (للمعالجة الشديدة)، وهو قريب من واقعه ولكنه قاصر.

هذا الحرف إنما هو تفخيم لحرف السين وصفيريٌّ مثله، إلا أنه أملأ منه صوتًا، وأشد تماسكًا، فهو من أصوات الحروف كالرصاص من المعادن رجاحةَ وزنٍ، وكالرخام الصقيل من الصخور الصمَّاء صلابة ونعومة ملمسٍ، وكالإعصار من الرياح، صرير صوت يقدح نارًا.

ولقد منحته هذه الخصائص الصوتية شخصية فذَّة طغى بها على معاني معظم الحروف في الألفاظ التي تصدرها، ليعطيها من نقاء صوته صفاء صورة وذكاء معنى، ومن صلابته شدة وقوة وفاعلية، ومن طبيعته الصفيرية مادة صوتية نقية ما كان أصلحها لمحاكاة الكثير من أصوات الناس والحيوانات وأحداث الطبيعة) [٢]

فهذا الحرف الذي يتسم بالقوة والصلابة والذي يدل على شدة المعالجة يترك أثرًا في نفس سامع كلمة الصلاة والصدقة والصبر بأنها جميعًا من الأمور الشاقة التي لا يمكن التمسك بها والمواظبة عليها إلا من تطهر قلبه وخلا من الأضَّداد، وتفرغ لرب العباد فليس كل إنسان بقادر على مزاولتها إلا أن يتحقق شرط الطهور المفتتح به في الحديث الشريف، ولتحصل له إحدى الغايتين المختتم بهما فيه فمعتقها أو موبقها.

---

[١] ينظر فتح البيان لأبي الطيب القنوجي، جـ ١٥، صـ٣٧٧، المكتبة العصرية بيروت، ١٩٩٢ م.

[٢] ينظر خصائص الحروف العربية ومعانيها لحسن عباس، ص ١٤٨، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨ م، والنسخة التي تم الرجوع إليها نسخة إلكترونية.

المبحث الثاني
من بلاغة التصوير.

(إن الصورة البيانية – على اختلاف أنواعها – قد تكون لغاية جمالية، ولكن أفضل من هذا وأروع أنت تكون لأداء فكرة لا تصلح بغير هذه الوسيلة.

أن تكون هي الأنسب في النسيج الكلي، أو هي الأجدر باستيعاب التجارب الفكرية والشعورية والأجدى للتوصيل والتأثير)[١]. وهذا ما سنراه في توظيف الصورة البيانية في البيان النبوي من خلال الحديث الذي معنا.

وغير خافٍ على من يمت بصلة للبحث البلاغي، أن التصوير في البيان النبوي– على وجه العموم– يتسم بأنه قد جاء(على أكمل تمامه وأبهى أصباغه وأورف ظلاله وبه ارتفع أسلوبه إلى منزلة لم يبلغها أديب في العربية... فإن المتتبع للآثار النبوية يجد صورها الفنية من أحسن المثل لما تنجذب إليه النفوس من القول، لما فطر عليه صلى الله عليه وسلم من معرفة عناصر التأثير في البيان وأوجه الجمال في اللسان، فجاء حديثه النبوي من البلاغة العالية في موضع تتطلع نحوه الأبصار، وتتقاصر دونه الأعناق)[٢].

وأما في الحديث الذي معنا، فقد هيمن التشبيه على صوره وقام بدور بالغ الأثر في أداء المعنى وتمكينه في نفوس المتلقين.

ومعلوم أن (التشبيه يضفي على المعنى حسنًا وبهاءً، ويزيده قوةً وجمالا، ويرفع من قدر الكلام فتميل له النفس، ويتحرك إليه القلب.

إنه فن أخاذ من فنون البلاغة، لا يصل إليه إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، وهو عنصر من عناصر الأسلوب، يرسم صورة للحس والشعور، فينقل المعنى في بيان ووضوح، وكلما جلا التشبيه المعنى، وزاده قوةً ووضوحا، كان أملك للنفس، وأعمق في التأثير [٣].

وكما يقول العلوي: (إن التشبيه بحر البلاغة وأبو عذرتها، وسرها ولبابها وإنسان مقلتها) [٤].

وقد جاء التشبيه في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم: الصلاة نور، وفي قوله الصبر ضياء وفي قوله الصدقة برهان إذا ما حملناه على التشبيه بناءً على المعنى اللغوي للفظة برهان كما سيأتي بيانه.

وقد جعل النقد الحديث إدراك ما بين الطرفين في التشبيه من صلة صادقة تعمل على التأثير في النفس أساسًا للحكم عليه بالجودة أو عدمها[٥]

وسوف أحاول فيما يأتي من صفحات تحليل هذه الجمل التشبيهية متلمسًا الصلة بين الطرفين في كل واحدة منها، محاولًا الإجابة عن سؤال كيف كانت هذه الصور التشبيهية مؤثرةً في نفوس متلقيها.

---

(١) ينظر أساليب البيان والصور القرآنية د. محمد إبراهيم شادي، ص ٤، دار والي الإسلامية بالمنصورة، ط ١، ١٩٩٥م.

(٢) البيان النبوي د. محمد رجب البيومي ص ٢٢٩، دار الوفاء بالمنصورة، ط ١، ١٩٨٧ م بتصرف.

(٣) ينظر لباب البيان د. محمد حسن شرشر، ص ٦٣ ط٢، ٢٠٠٢/٢٠٠٣م.

(٤) ينظر الطراز للعلوي جـ ١ صـ١٦٧، المكتبة العصرية بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٥) ينظر البيان النبوي ص ٢٢٩ بتصرف شديد.

ولكن قبل الخوض في غمار دقائق التعبير، وأسرار الصياغة في تشبيهات هذا الحديث أود الإجابة عن سؤال آخر هل تُعد هذه الجمل الخبرية المكونة من مبتدأ معرفة ومن خبر نكرة – وقد خلت من أدوات التشبيه على اختلافها–، فكانت تشبيهات مؤكدة، وخلت كذلك من وجه الشبه فصارت تشبيهات مجملة، هل تُعد من قبيل التشبيه، فتدخل في دائرة التصوير، أم من قبيل الأخبار المجردة عنه؟، فلا تعدو أن تكون جملًا تقريرية.

وقد كفانا الخطيب القزويني– رحمه الله– مؤونة الجواب عن هذا السؤال، وذلك عند حديثه عن الفرق بين الاستعارة والتشبيه، ملخصًا كلام الإمام عبد القاهر في ذلك، فقال: (وههنا شيء لا بد من التنبيه عليه، وهو أنه إذا أجري في الكلام لفظ دلت القرينة على تشبيه شيء بمعناه، فيكون ذلك على وجهين: أحدهما: ألا يكون المشبه مذكورًا ولا مقدرًا كقولك: "رنت لنا ظبية"، وأنت تريد امرأة، و"لقيت أسدا"، وأنت تريد رجلا شجاعا. ولا خلاف أن هذا ليس بتشبيه وأن الاسم فيه استعارة.

والثاني: أن يكون المشبه مذكورا أو مقدرا فاسم المشبه به إن كان خبرا، أو في حكم الخبر –كخبر "كان وإن"، والمفعول الثاني لباب "علمت" والحال– فالأصح أنه يسمى تشبيها، وأن الاسم فيه لا يسمى استعارة؛ لأن الاسم إذا وقع هذه المواقع فالكلام موضوع لإثبات معناه لما يعتمد عليه، أو نفيه عنه؛ فإذا قلت: "زيد أسد"، فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة، كان لإثبات شبه من الأسد له، فيكون اجتلابه لإثبات التشبيه)[1]

يفهم من كلام الخطيب السابق أن الاسم إذا كان خبرًا أو في حكم الخبر فإن الغرض من وقوعه على هذا النحو حينئذ هو إثبات معناه للمبتدأ أو نفيه عنه، فإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة وجب حمل الكلام على التشبيه.

وإذا ما طبقنا هذا الكلام على الجمل الواردة في الحديث الشريف، الصلاة نور، والصبر ضياء، فإننا نجد أن لفظة نور قد وقعت خبرًا عن لفظ الصلاة، وكذلك لفظة ضياء فقد أخبر بها عن الصبر، ومعلوم أنه يمتنع كون الصلاة نورًا حقيقيًا، وكذلك يمتنع كون الصبر ضياءً حقيقيًا، فوجب أن يُحمل التركيب على التشبيه، ليؤدي المعنى الذي سيق من أجله، ولتتغلغل إيحاءاته في نفوس السامعين.

ووجه امتناع إثبات معنى النور للصلاة على الحقيقة واضح، ذلك لأن الصلاة هي تلك الأقوال والأفعال المخصوصة التي يؤديها العبد تقربًا لربه فهل يمكن أن تغدو هذه الأقوال، وتلك الأفعال نورًا حقيقيًا، بالطبع لا، ولابد من توجيه الدلالة وجهةً أخرى.

وكذلك وجه امتناع إثبات معنى الضياء للصبر واضح، ذلك أن الصبر أمر معنوي وهو

---

[1] ينظر الإيضاح بتعليق البغية جـ ٣ صـ٩٣ بتصرف، وينظر أسرار البلاغة تحـ شاكر ص ٣٢٦ وما بعدها.

حبس الإنسان نفسه عن الجزع، فهل يمكن أن يصير هذا الأمر المعنوي ضياءً على وجه الحقيقة والإجابة أيضا أن لا، ولذا فهذه الجملة – كسابقتها – من قبيل التشبيه.

إذن فقد حكم الخطيب القزويني– ناقلًا عن الإمام عبد القاهر– على هذا التركيب– المبتدأ المعرفة وخبره النكرة الذي يمتنع إثباته للمبتدأ على الحقيقة– بأنه من وادي الصور التشبيهية.

وليس هذا فحسب، فقد وجدت الإمام نفسه يتسامح في أن يطلق على أمثال هذا التركيب مصطلح الاستعارة، وذلك عند مجاراته لمن أطلقه على التشبيه المحذوف الوجه والأداة فقال رحمه الله: (فإن قلت: هو بحر وهو ليثٌ ووجدته بحرًا، وأردت أن تقول إنه استعارة، كنت أعذَرَ وأشبه بأن تكون على جانب من القياس، ومتشبّثًا بطَرفٍ من الصواب، وذلك أن الاسم قد خرج بالتنكير عن أن يحسن إدخال حرف التشبيه عليه، فلو قلت هو كأسد وهو كبحر، كان كلامًا نازلًا غير مقبول، كما يكون قولك هو كالأسد، إلا أنَّه وإن كان لا يحسن فيه الكاف فإنه يحسن فيه كأنّ كقولك كأنه أسد، أو ما يجري مجرى كأنّ في نحو تحسِبُه أسدًا وتَخَالُه سيفًا) [١].

فقول النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة نور والصبر ضياء تشبيه بناء على ما تقدم.

وأما قوله: الصدقة برهان فإن كان المراد بالبرهان الحجة أو الدليل على ما جاء في المعاجم [٢] فلا مانع من إثبات معنى الخبر حينئذ للمبتدأ على وجه الحقيقة.

وأما إن كان معناه شعاع الشمس على ما ورد في بعض كتب شروح الحديث [٣]، فيحمل التركيب حينئذ على التشبيه ويتفق مع التشبيهين الآخرين الصلاة نور والصبر ضياء في أن المشبه به فيها جميعًا قد جاء من وادٍ واحد وهو وادي النور على اختلاف درجاته.

وبعد أن قررنا كون هذه الجمل من قبيل التشبيه نلج غمار دقائق التعبير فيها.

١–استمداد المشبهات بها من الطبيعة الساكنة.

فنجد أن أول ما يستوقفنا من تلك الدقائق هو استمداد المشبهات بها فقد استمدت جميعًا من

---

(١) ينظر أسرار البلاغة تحـ شاكر، ص ٣٢٨.

(٢) ينظر تاج العروس للزبيدي، مادة برهن، جـ ٣٤، ص ٢٥٠، دار الهداية، وجاء فيه: (البُرْهانُ، بالضَّمّ: الحُجَّةُ الفاصِلَةُ البَيِّنَةُ؛ وَبِه فُسِّر قوْلُه تَعَالَى: {قُلْ هاتُوا بُرْهانَكم إِن كُنْتم صادِقِينَ} ؛ وكذلِكَ الحدِيثُ: الصَّدَقَةُ بُرْهانٌ؛ أَي أَنَّها حُجَّة لطالِبِ الأَجْر مِن أَجْلِ أَنَّها فَرْضٌ يُجازِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ. وقيلَ: هِيَ دَليلٌ على صحةِ إيمانِ صاحِبِها لطيبِ نفْسِه بإِخْراجِها، وذلكَ لعَلاقةٍ مَا بينَ النفْسِ والمالِ.

(٣) ينظر البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج للولوي، ص ٤٢، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٦–١٤٣٦ هـ وجاء فيه: "البرهان": هو الشعاع الذي يلي وجه الشمس، ومنه حديث أبي موسى – رضي الله عنه –: "أن روح المؤمن تخرج من جسده لها برهان، كبرهان الشمس"، ومنه سُمِّيت الحجة القاطعة برهانًا، لوضوح دلالتها على ما دَلَّت عليه، فكذلك الصدقة برهان على صحة الإيمان.

البيئة الخارجية أو من الطبيعة الصامتة على حد تعبير أهل الأدب.

ولعل السر وراء هذا الاصطفاء للمشبهات بها (نور – برهان – ضياء) هو ما يتسم به البيان النبوي من الديمومة، فبلاغته باقية ما بقي البشر على وجه الأرض، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، تتعاقب الأجيال وكلهم يدرك إعجاز القرآن أولا وبلاغة البيان النبوي ثانيًا يقر بهذا العامة والخاصة وآية ذلك تلك التشبيهات التي معنا والتي تتسم بالسهولة والقرب واستمدادها من البيئة الخارجية الباقية بقاء الإنسان.

فقد أراد هذا البيان أن يقرن تلك العبادات ذات الشأن العظيم في الإسلام بأشياء محسوسة يعرفها كل إنسان في كل زمان ومكان، بالإضافة إلى أنها من الأشياء المحبوبة أيضًا والتي لا يُستغنى عنها وكأنه يقول لكل مخاطب إن دنياك بدون هذه العبادات دنيا مظلمةٌ حالكة السواد ولا نجاة لك إلا باتخاذها قارب نجاة في ذلك البحر الذي تتلاطم أمواج ظلماته.

هذا مع ما يوحي به تركيب الصلاة نور من أن المؤدي لهذه العبادة والمواظب عليها والمتلبس بها يحظى بنور وهداية من الله الذي أخبر عن نفسه أنه نور السموات والأرض قال تعالى: اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ سورة النور (٣٥).

ولأن الصلاة صلة بين العبد وربه فهي مؤدية إلى أن يحظى المحافظ عليها بهذا النور العظيم، فتكون له الصلاة حينئذ نبراسًا هاديًا فأنى له أن تزل قدمه ويكون حالها معه كحال النور مع المستنير به والسائر في هداه فمن أين يأتيه الزلل.

فقد جاء في الحديث: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" [1].

وكذلك الصبر فقد شبه بالضياء والضياء نوع من النور وإن كان بينهما فرق سيأتي بيانه، وذلك لينبه المخاطب المتمسك بالصبر واللاجئ إليه المحتمي به في كل أحواله في مجاهدة نفسه على الطاعة، أو مجابهتها لاجتناب المعاصي، أو للثبات عند الملمات لينبهه على أنه في نور عظيم ينجيه من التخبط في مختلف الظلمات، وليحث القانطين الجزعين الذين يقعون فريسةً بين أنياب اليأس على أن يتمسكوا بالصبر حتى تستقر سفينة دينهم على شاطئ النجاة.

وكذلك الصدقة قد شبهت بالبرهان وهو نوع من النور أيضا على ما سبق ذكره من أن معناه الشعاع الذي يلي الشمس، وذلك لينبه على أن الصدقة دليل على الإيمان كما أن الشعاع دليل على وجود الشمس وملازم لها.

---

[1] ينظر سنن الترمذي تح شاكر حديث رقم ٣١٢٧ وقال الترمذي غريب، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة حديث رقم ١٨٢١، دار المعارف الرياض السعودية، ط ١، ١٩٩٢ م.

قلت: إن اصطفاء المشبهات بها في هذه الصور التشبيهية التي معنا قد علت بقيمة التشبيه، وضمنت له دوام التأثير في المتلقين على مر العصور، وذلك لقربها مع جلالها، مع كونها مما لا يُستغنى عنه، وكونها مما يدوم دوام الحياة، وكذلك المشبهات (الصلاة – الصدقة – الصبر).

(وقد نبه البلاغيون إلى أن صور التشبيه حينما تُستَمد من عناصر كونية أو نفسية عامة يشترك في إدراكها والإحساس بها كافة المتذوقين، كالتشبيه بالشمس والبدر والجبال والأنهار، والفجر، والمطر، والرعد، والبرق، وأحوال الخوف والأمن، والغضب والرضا، والقوة والضعف، وما شابه ذلك مما هو شركة بين الناس والأمم يكون هذا الاستمداد من هذه العناصر أحفظ لبقائها وحيويتها، وتأثيرها في أجيال الناس والأمم [١].

فلو استمدت المشبهات بها في هذا الحديث من أمور غريبة أو نادرة، أو مرهونة بزمان أو مكان معين لما كُتِب لها هذا البقاء ولما وجد لها هذا الأثر.

وقد نبه القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني إلى هذه الحقيقة متحدثًا عن التشبيه، مبينًا تفاوت إدراكه لاختلاف البيئات، وتباين الأزمنة، وافتراق العادات فقال: (قد يكون في هذا الباب ما تتّسعُ له أمة، وتضيق عنه أخرى، ويسبق إليه قوم دون قوم؛ لعادة أو عهد، أو مشاهدة أو مِراس؛ كتشبيه العرب الفتاة الحسناء بتريكة النّعامة، ولعل في الأمم من لم يرَها وحمرةَ الخدود بالورد والتفاح؛ وكثيرٌ من الأعراب لم يعرفهما، وكأوصاف الفلاة، وفي الناس من لم يُصْحِر؛ وسيرَ الإبل؛ وكثير منهم لم يركب[٢].

٢- كون المشبهات بها من وادٍ واحد.

ثم إن وراء كون المشبهات بها جميعًا من وادٍ واحد سر عظيم، وهو الدلالة على أن تلك العبادات يكمل بعضها بعضًا، وأنها تتضافر جميعًا، لترتقي بالإنسان إلى ذروة الإيمان المذكور في بداية الحديث تصريحًا < الطهور شطر الإيمان، حيث جعل الطهور – على المعنى الذي اصطفيناه له – شطرًا للإيمان وفي بقيته ضمنًا، لكون هذه العبادات أعمالًا صالحةً تمثل الشطر الآخر حيث يكمل بها إيمان المرء، ويعتق بها نفسه من النار.

وجمع المتناسبات في الكلام– لغاية يتغياها البليغ – مما يزيده إحكامًا، ويكسبه تماسكًا والتحامًا، وهذا متحقق في الحديث الذي معنا في أكمل صوره، وأكمل أحواله، وجمع المتناسبات في الكلام فن من فنون البديع المعنوي يسميه البلاغيون: مراعاة النظير

و(يسمى التناسب، والائتلاف، والتوفيق، والمواخاة، وهو في الاصطلاح أن يجمع الناظم أو الناثر أمرًا وما يناسبه، مع إلغاء ذكر التضاد، لتخرج المطابقة، وسواء كانت المناسبة لفظًا

---

[١] ينظر التصوير البياني لأبي موسى ص ١٥٨ وما بعدها بتصرف، مكتبة وهبة، ط ٣، ١٩٩٣ م.

[٢] ينظر الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني، تحـ محمد أبو الفضل إبراهيم و علي البجاوي، ص ١٨٦، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

لمعنى أو لفظًا للفظ أو معنى لمعنى، إذ القصد جمع شيء إلى ما يناسبه من نوع أو ما يلائمه من أحد الوجوه) [١].

وقد جُمع في الحديث بين النور والبرهان والضياء للدلالة على أنها جميعًا لَبِنَاتٌ يكتمل بها صرح الإيمان، هذا مع خصوصية في كل واحدة منها.

٣- مجيئ المشبهات بها نكرة.

ومن دقائق التعبير في صياغة الصور التشبيهية التي معنا، مجيء المسند فيها جميعًا نكرة، فكلمة نور وكلمة برهان وكذلك كلمة ضياء نكرة وكان من الممكن أن تكون معرفة فتكون العبارة حينئذ الصلاة هي النور أو الصلاة النور، أو الصدقة هي البرهان، أو الصبر هو الضياء أو غير ذلك من عبارات يكون المسند فيها معرفةً، فما السر في مجيئها على هذا النحو؟

سبق أن ذكرت أن الأقرب كون جميع الجمل الخبرية الواردة في الحديث من قبيل الضرب الابتدائي، وذلك أن المخاطبين كانوا غير عالمين بما يُلقى إليهم من حقائق، وأقول إن من عادة العرب في تعبيرهم أنهم يأتون بالمسند نكرةً في مقام كهذا، حينما يكون المخاطب جاهلًا بالحكم غير محيط بشيء منه، فيساق له في صورة النكرة فيحصل لديه العلم حينئذ بخلاف ما لو سيق له المسند معرفة فلعل المخاطب حينئذ يكون عالمًا به أو محيطًا بشيء منه.

ولذا فقد جيء بالمسند في هذه الصور التشبيهية نكرةً، هذا بالإضافة إلى أن الإتيان به على هذا النحو يفسح المجال لغيره من الأحكام أن ينضم إليه فلا تنحصر الصلاة في كونها نورًا، ولا تقتصر الصدقة على كونها برهانًا، وكذلك الصبر فلا يحكم عليه بكونه ضياءً فحسب بل يمكن أن يحكم عليها جميعًا بأحكام أخرى على حسب السياق والمقامات.

وكذلك كلمة نور، وكلمة برهان، وكلمة ضياء لا تختص كل واحدة منها بما قُرِنَت به بل يمكن أن يحكم بها على غيره.

وقد قرر البلاغيون أن المسند يأتي نكرة لأغراض منها عدم إرادة الحصر، أو العهد، ومنها كذلك إرادة التعظيم فقال الخطيب: (وأما تنكيره فإما لإرادة عدم الحصر والعهد، كقولك: زيدٌ كاتبٌ، وعمروٌ شاعرٌ. وإما للتنبيه على ارتفاع شأنه أو انحطاطه، كقوله تعالى: (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) أي هدى لا يُكْتَنَه كُنْهُهُ)[٢].

ولذا فقد جيء بالمشبهات بها في هذه العبارات الصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء نكرات لتفيد عدم الحصر والعهد من جهة، ولتفيد التعظيم من جهة أخرى، وذلك لأن التنكير يكون فيه المشبه به مجهولًا مما يطلق لخيال المتلقي العنان، ليقف على كُنهه، خصوصًا إذا كان المقام مقام إعلاء من شأن المشبهات الصلاة، الصدقة، الصبر.

---

[١] ينظر خزانة الأدب لابن حجة الحموي، تحـ عصام شقيو، جـ ١ صـ٢٩٣، دار ومكتبة الهلال الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٤م.

[٢] ينظر الإيضاح تحـ خفاجي، ص ١٨٨، دار الكتاب اللبناني، ط ٦، ١٩٨٥ م.

٤- الإيجاز في صياغة التشبيهات.

ومن أسرار الصياغة في هذه الجمل التشبيهية (الصلاة نور – الصبر ضياء) أنها جاءت موجزةً شدما يكون الإيجاز، وباختلاف صنوفه، من إيجاز قُصَر، وإيجاز حذف، فقد سبقت الإشارة إلى أن هذه التشبيهات جاءت مؤكدة أي محذوفة الأداة، وجاءت كذلك مجملة أي محذوفة الوجه ومجيئ التشبيه على هذه الحال يسميه البلاغيون بالتشبيه البليغ وذلك (حين تزداد صفات الاتحاد بين المشبه والمشبه به، فتتخلص الصورة من كل شيء يشعرك بأن هناك فروقا بين الطرفين، فتجد الصورة تكاد تلامس باب الاستعارة، وتجد الصورة قد احتلت أولى درجات الاتحاد بين الطرفين، فلا تجد أداة رابطة، كيف ولا فرق بين المشبه والمشبه به؟، ولا تجد وجه شبه بين الطرفين مذكورا، كيف والأول عين الثاني؟، ومن هنا تعلو المشابهة حتى تصل إلى عتبات التوحد بين المشبه والمشبه به...، وهذا الحذف إنما هو تخلص من عوامل البعد بين الطرفين[١].

فالمخاطب حينما يسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم: الصلاة نور والصدقة برهان، والصبر ضياء دونما إشارة إلى التشبيه بإيراد أداته، ودونما تعيين للمعنى المشترك فيه، فإنه سيدور بخلده اعتقاد الاتحاد بين هذين الطرفين، فيدعوه ذلك إلى التمسك بهذه العبادات التي كادت أن تغدو نورًا أو ضياءً تلك الأشياء التي لا يستغني عنها حي.

وأود الإشارة إلى أنه من الأولى ألا يختص التشبيه المحذوف الوجه والأداة بمصطلح التشبيه البليغ، وكذلك التشبيه البعيد الغريب وألا يُجعل شيء من هذا أساسًا للحكم على التشبيه بلفظة البليغ حتى ولو كان المقصود بها اللطف والحسن وذلك لأن القرآن الكريم حافل بصور تشبيهية مكتملة الأركان، وهي في الذروة من البلاغة، ولا يخلو أيضًا من كثير من التشبيهات القريبة الواضحة وقد جاءت على أحسن وجوه البلاغة، وذلك لتأديتها الغرض المنوط بها ولموافقتها المقام ولمطابقتها مقتضى الحال، وذلك هو المقياس الذي يجب اعتباره عند التفضيل بين التشبيهات.

ومن نافلة القول تقرير أن ظاهرة الإيجاز في البيان النبوي، كانت من أكثر الظواهر البلاغية شيوعًا فيه، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم قد وصف نفسه بها فقال: أعطيت جوامع الكلم (أي ملكة أقتدر بها على إيجاز اللفظ مع سعة المعنى بنظم لطيف لا تعقيد فيه يعثر الفكر في طلبه ولا التواء يحار الذهن في فهمه فما من لفظة يسبق فهمها إلى الذهن إلا ومعناها أسبق إليه)[٢].

وكما قال الرافعي عند حديثه عن مميزات الكلام النبوي الشريف بأنه يقوم على ثلاثة أمور هي: (الخلوص، والقصد، والاستيفاء،:

أما الخلوص فلأنه لم يكن في العرب ولن يكون فيمن بعدهم أبدَ الدهر من ينفذُ في اللغة

---

[١] ينظر الوجوه الحسان في علم البيان د. سعيد جمعة ص ١٢٢ بتصرف.

[٢] ينظر فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي القاهري، جـ ١، صـ٥٦٣، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ط١، ١٣٥٦ هـ.

وأسرارها وضعًا وتركيبًا، ويستعبدُ اللفظ الحر، ويحيط بالعتيق من الكلام، ويبلغ من ذلك إلى الصميم على ما كان من شأنه – صلى الله عليه وسلم...

وأما القصدُ والإيجاز والاقتصار على ما هو من طبيعة المعنى في ألفاظه ومن طبيعة الألفاظ في معانيها، ومن طبيعة النفس في حظها من الكلام وجهتيهِ (اللفظية والمعنوية) –، فذلك مما امتازت به البلاغة النبوية حتى كان الكلام لا يعدو فيها حركةَ النفس، وكأن الجملة تخلق في منطقه – صلى الله عليه وسلم – خَلقًا سويًا، أو هي تنزع من نفسه انتزاعًا..، وإنَّما تتم في بلاغته – صلى الله عليه وسلم – بالأمر الثالث.، وهو الاستيفاء، الذي يخرج به الكلام – على حذف فضوله وإحكامه ووجازَته – مبسوط المعنى بأجزائه ليس فيها خداج ولا إحالة ولا اضطراب حتى كأن تلك الألفاظ القليلة إنما ركبت تركيبًا على وجه تقتضيه طبيعة المعنى في نفسه، وطبيعته في النفس، فمتى وعاها السامع واستوعبها القارئ، تمثل المعنى وأتمه في نفسه، في حسب ذلك التركيب، فوقع إليه تامًا مبسوط الأجزاء، وأصاب هو من الكلام معنى جمومًا لا ينقطع به ولا يكبو دون الغاية، كأنما هذا الكلام قد انقلب في نفسه إحساسًا لنظر معنوي.. [1]

وليست الجمل التشبيهية في الحديث هي المستأثرة بالإيجاز وحدها، بل تشاركها بقية التراكيب فيه، فإذا ما أردت أن تبين ما تضمنته كل واحدة منها من معانٍ، فستنفق في ذلك عددًا غير قليل من الجمل، مُقدِّرًا لمحذوف، أو مُفصِّلًا لمجمل.

وآية ذلك ما نقرأه في كتب شروح الحديث لبيان المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء.

ومن ذلك ما ذكره النووي شارحًا لقوله صلى الله عليه وسلم الصلاة نور: (وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّلَاةُ نُورٌ فَمَعْنَاهُ أَنَّهَا تَمْنَعُ مِنَ الْمَعَاصِي وَتَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَتَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ كَمَا أَنَّ النُّورَ يُسْتَضَاءُ بِهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَكُونُ أَجْرُهَا نُورًا لِصَاحِبِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِأَنَّهَا سَبَبٌ لِإِشْرَاقِ أَنْوَارِ الْمَعَارِفِ وَانْشِرَاحِ الْقَلْبِ وَمُكَاشَفَاتِ الْحَقَائِقِ لِفَرَاغِ الْقَلْبِ فِيهَا وَإِقْبَالِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهَا تَكُونُ نُورًا ظَاهِرًا عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَكُونُ فِي الدُّنْيَا أَيْضًا عَلَى وَجْهِهِ الْبَهَاءُ بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يُصَلِّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[2].

كثيرة تلك الحذوف التي قدرها النووي ليقف على المراد من كلام المعصوم عليه الصلاة والسلام، كأجر الصلاة نور، أو أن الصلاة نور في الوجه، أو نور يوم القيامة، أو غير ذلك مما قدر، وذلك بعد أن حمل كلامه أولًا على معنى التشبيه، ثم عمد إلى تأويله تأويلًا صوفيًا وجميع هذه الوجوه تجتمع لتثبت غزارة المعاني في العبارة النبوية الموجزة المُتَّكِئَة، إما على إيجاز بالقصر،

[1] ينظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، ص ٢٢٩ وما بعدها بتصرف، دار الكتاب العربي بيروت، ط ٨، ٢٠٠٥م.

[2] ينظر شرح النووي لصحيح مسلم، جـ ٣، صـ ١٠١.

وإما على إيجاز بالحذف، واحتماليتها لعديد من التأويلات التي تدعو سامعها إلى التطواف حولها جميعًا، ليتخذ قراره في نهاية الأمر بأن يعض على تلك العبادة- (الصلاة) المشبهة بالنور- بالنواجذ.

ولنقرأ كلامه وهو يحاول شرح قوله صلى الله عليه وسلم: الصدقة برهان (وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ فَقَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ مَعْنَاهُ يَفْزَعُ إِلَيْهَا كَمَا يَفْزَعُ إِلَى الْبَرَاهِينِ كَأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا سُئِلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ مَصْرِفِ مَالِهِ كَانَتْ صَدَقَاتُهُ بَرَاهِينَ فِي جَوَابِ هَذَا السُّؤَالِ فَيَقُولُ تَصَدَّقْتُ بِهِ قَالَ وَيَجُوزُ أَنْ يُوسَمَ الْمُتَصَدِّقُ بِسِيمَاءَ يُعْرَفُ بِهَا فَيَكُونُ بُرْهَانًا لَهُ عَلَى حَالِهِ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ مَصْرِفِ مَالِهِ وَقَالَ غَيْرُ صَاحِبِ التَّحْرِيرِ مَعْنَاهُ الصَّدَقَةُ حُجَّةٌ عَلَى إِيمَانِ فَاعِلِهَا فَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَمْتَنِعُ مِنْهَا لِكَوْنِهِ لَا يَعْتَقِدُهَا فَمَنْ تَصَدَّقَ اسْتُدِلَّ بِصَدَقَتِهِ عَلَى صِدْقِ إِيمَانِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[١].

نجده أيضًا يعمد إلى تقدير محذوف من مثل أن الصدقة برهان على الإيمان، هذا بعد أن حمل الكلام على التشبيه حيث شبه الصدقة بالبرهان ووجه الشبه أن كليهما مما يفزع إليه عند الحاجة، وقد بينت آنفًا أن هناك وجهًا آخر يحمل عليه التشبيه في هذا التركيب، بناءً على المعنى اللغوي للفظة برهان، وقد حاول أن يشرح العبارة- مستعينًا بالنقل- بحملها على وجوه شتى يحتملها التركيب السخي.

ونجده في حديثه عن قوله صلى الله عليه وسلم: والصبر ضياء يعمد إلى تفصيل أنواع الصبر المجملة في لفظة واحدة، ثم يحمل الكلام على التشبيه جاعلًا وجه الشبه بين الطرفين هو الاهتداء والاستمرار على الصواب فيقول: (وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ فَمَعْنَاهُ الصَّبْرُ الْمَحْبُوبُ فِي الشَّرْعِ وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّبْرُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَالصَّبْرُ أَيْضًا عَلَى النَّائِبَاتِ وَأَنْوَاعِ الْمَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْمُرَادُ أَنَّ الصَّبْرَ مَحْمُودٌ وَلَا يَزَالُ صَاحِبُهُ مُسْتَضِيئًا مُهْتَدِيًا مُسْتَمِرًّا عَلَى الصَّوَابِ)[٢].

٥- مجيء التركيب مطابقًا لما هو أصل الكلام.

ومما يسترعي الانتباه في تركيب الصورة التشبيهية في هذا الحديث أنه يتكون من مبتدأ معرفة، وخبر نكرة، وهذا يتوافق مع ما عليه أصل الكلام كما يقول سيبويه: (إذا اجتمع نكرة ومعرفة أن يبتدئ بالأعرف؛ وهو أصل الكلام)[٣].

ويقول ابن جني: (فَإِن اجْتمع فِي الْكَلَام معرفَة ونكرة جعلت الْمُبْتَدَأ هُوَ الْمعرفَة وَالْخَبَر هُوَ النكرَة تَقول زيدٌ جالسٌ ف زيد هُوَ الْمُبْتَدَأ لِأَنَّهُ معرفَة وجالسٌ هُوَ الْخَبَر لِأَنَّهُ نكرَة)[٤].

وقد اقتصر في التركيب كذلك على ما هو الأصل في التشبيه المشبه والمشبه به، وهما

---

(١) ينظر شرح النووي لصحيح مسلم، جـ ٣، صـ١٠١.

(٢) ينظر السابق جـ٣، صـ١٠١.

(٣) ينظر الكتاب لسيبويه، تحـ عبد السلام هارون، جـ ١ صـ٣٢٨، مكتبة الخانجي القاهرة، طـ٣، ١٩٨٨ م.

(٤) ينظر اللمع في العربية لابن جني، تحـ فائز فارس، ص ٢٦، دار الكتب الثقافية بالكويت.

الركنان الأساسيان فيه، وكانت المشبهات الصلاة والصدقة والصبر من الأصول التي يقوم عليها الدين، ولا يخفى أن إقامة الصلاة ركن من أركان الإسلام الخمسة، وكذلك إيتاء الزكاة، وقد تفسر الصدقة في الحديث بها، على ما جاءت به بعض الروايات.

وقد جاءت المشبهات بها النور والبرهان والضياء من الأصول التي يعتمد عليها في الاهتداء، وأخلص من هذا إلى أن التعبير النبوي قد راعى- استجابة للسليقة البيانية، وتلبيةً لنداء الفطرة النقية-، التماثل بين العبارة وما يطلب بها للدلالة على أهمية تلك الأصول المذكورة في الكلام وأن فقدان أحدها يصيب إسلام المرء بخلل لا يقوم بعده، هذا كله مع مراعاة أن هذه العبادات يُشترط فيها الطهور المذكور في أول الحديث والمحكوم عليه بكونه شطر الإيمان، وقد مر بيان المعنى الذي رجحناه للطهور وهو أعم من الطهور الحسي، وهذا مما يشتد به التحام الكلام وإحكامه.

ومجيئ التركيب على ما عليه الأصل في العربية، يتضافر مع ما ذكرته آنفًا من السر وراء استمداد المشبهات بها من الطبيعة الساكنة، حيث يضمن لمضمونه الديمومة على مر العصور، تلك الخصيصة التي يمتاز بها البيان النبوي.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا النمط من أنماط الجملة، - المبتدأ المعرف بأل، والخبر النكرة- نمط شائع في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، خصوصًا في صحيحي البخاري ومسلم[1].

ولعل السر وراء شيوعه هو ما يتسم به من إيجاز شديد، مما يؤهله للحفظ، ومن ثم التأثير في نفوس متلقيه.

٦- السر في تخصيص الصلاة بالنور، والصبر بالضياء.

وآخر ما نلمحه من دقائق التعبير المتجلية في دقة التصوير في هذا الحديث تشبيه الصلاة بالنور،، وتشبيه الصدقة بالبرهان، وتشبيه الصبر بالضياء حيث خص أحدها بالنور، وخص الثاني بالبرهان، وخص الثالث بالضياء، وإن كانت المشبهات بها من وادٍ واحد، إلا أن بينها فرقًا ولابد أن يكون وراء هذا التخصيص سر يلمح إلى مزايا في المشبهات.

وغالب كلام الشراح يدور حول أن الضياء نوع من النور فالنور أعم والضياء أخص منه وذلك لأن الضياء هو فرط الإنارة وأما النور فيتفاوت قوةً وضعفًا، ولأن المشبه الصبر من الأمور التي تحتاج إلى مجاهدة فقد اختص بتشبيهه بالضياء الذي هو الأقوى، هذا مع مراعاة ما يكون مع الضياء من حرارة وإحراق بخلاف النور الذي يتضمن الإشراق من غير إحراق، وأما تشبيه الصدقة بالبرهان، وقد مر أنه الشعاع الذي يلي الشمس فيكون دليلا على وجودها، كما أن الصدقة تكون دليلا على وجود الإيمان والخلوص من النفاق، فلعل تخصيص الصدقة به لارتباط

---

[1] ينظر بناء الجملة في الحديث النبوي في الصحيحين، د. عودة خليل أبو عودة، ط٢، دار البشير عمان الأردن، ١٩٩٤ م.

معناه بمعنى الحجة والدليل، وإن كان يرتبط بالنور من وجه آخر.

ولا يعني تخصيص أحد المشبهات الصلاة أو الصدقة، أو الصبر بأحد المشبهات بها النور، أو البرهان، أو الضياء استئثار كل مشبه بما شُبِّهَ به، ولكن تظهر بكل مشبه به مقترن بأحد المشبهات مزيَّة تغلب فيه أكثر من الآخرَيْن.

يقول ابن رجب الحنبلي: (وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " «وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ» "،... فَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْأَعْمَالِ أَنْوَارٌ كُلُّهَا، لَكِنَّ مِنْهَا مَا يَخْتَصُّ بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ النُّورِ، فَالصَّلَاةُ نُورٌ مُطْلَقٌ،...وَأَمَّا الصَّبْرُ فَإِنَّهُ ضِيَاءٌ، وَالضِّيَاءُ: هُوَ النُّورُ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ نَوْعُ حَرَارَةٍ وَإِحْرَاقٍ كَضِيَاءِ الشَّمْسِ بِخِلَافِ الْقَمَرِ، فَإِنَّهُ نُورٌ مَحْضٌ، فِيهِ إِشْرَاقٌ بِغَيْرِ إِحْرَاقٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا} [يونس: ٥] وَمِنْ هُنَا وَصَفَ اللَّهُ شَرِيعَةَ مُوسَى بِأَنَّهَا ضِيَاءٌ، كَمَا قَالَ: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ} [الأنبياء: ٤٨]

وَإِنْ كَانَ قَدْ ذَكَرَ أَنَّ فِي التَّوْرَاةِ نُورًا كَمَا قَالَ: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ} [المائدة: ٤٤]، وَلَكِنَّ الْغَالِبَ عَلَى شَرِيعَتِهِمِ الضِّيَاءُ لِمَا فِيهَا مِنَ الْآصَارِ وَالْأَغْلَالِ وَالْأَثْقَالِ. وَوَصَفَ شَرِيعَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهَا نُورٌ لِمَا فِيهَا مِنَ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} [المائدة: ١٥]... وَلَمَّا كَانَ الصَّبْرُ شَاقًّا عَلَى النُّفُوسِ، يَحْتَاجُ إِلَى مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ وَحَبْسِهَا وَكَفِّهَا عَمَّا تَهْوَاهُ، كَانَ ضِيَاءً)[١].

هذا التأويل للتفرقة بين التشبيه بالنور، والتشبيه بالضياء محتمل، إلا أنني وجدت رأيًا للشيخ الشعراوي عند تفسيره لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا} [يونس: ٥] خلاصته أن لفظ ضياء يمكن أن يحمل على الإفراد، ويمكن أيضًا أن يُحمل على الجمع فيكون جمعًا للفظة ضوء [٢].

وأجدني مطمئنًا لهذا التأويل، ولا أستبعد انطباقه على قوله صلى الله عليه وسلم: والصبر ضياء.

وذلك لأنه كان من الممكن تشبيه الصبر بالنور، ومعلوم أنه درجات ومنها القوي الباهر، وكان من الممكن أيضا تشبيهه بالضوء، فيقال: والصبر ضوء، إلا أن البيان النبوي آثر هذا اللفظ ضياء، لاحتمالية كونه جمعًا للفظ الضوء فليس الصبر مجرد ضوء واحد في موقف واحد وإنما هو عدة أضواء في مقامات مختلفة وفيه إشارة إلى بالغ أهمية الصبر لمن يتصبر.

---

(١) ينظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، تحـ شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، جـ ٢ ص ٢١ وما بعدها بتصرف شديد، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٧، ٢٠٠١ م.

(٢) ينظر تفسير الشعراوي جـ ٩ ص ٥٧٣٨، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧ م.

الخاتمة

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على عباده الذين اصطفى، فقد كان هذا بحثًا تحت عنوان (من بلاغة النبي العدنان في حديثه الطهور شطر الإيمان)، قد خلصت في نهايته إلى عدد من النتائج، أورد أهمها فيما يأتي:

١-إن حديث الطهور شطر الإيمان من الأحاديث التي اختارها الإمام النووي في الأربعين، وذلك لما له من أهمية بالغة في الدين الإسلامي، فقال عنه: (هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ قَدِ اشْتَمَلَ عَلَى مُهِمَّاتٍ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ) [١].

وقد تبين لنا من خلال الدراسة أنه يمثل الإيمان الكامل قولًا وفعلًا وتركًا، حسيًا ومعنويًا، كما يبين مآل البشر جميعا المفلح منهم والخاسر، فمن تمسك بما فيه نجا، وإلا فقد أهلك نفسه.

٢- لا تناقض بين روايات الحديث الذي معنا، بل إن بعض الروايات يؤكد البعض الآخر، أو يكمله على نحو ما فقد تأتي اللفظة في رواية، وتؤدي مرادفتها دورها في رواية أخرى، وقد تأتي اللفظة دالة على جزء من المعنى، وتأتي نظيرتها في الرواية الأخرى دالة على العموم، كما هو الحال في رواية الطهور شطر الإيمان، حيث جاءت لفظة الطهور أعم من لفظة الوضوء في رواية أخرى.

٣- لا يمكن أن تُتَّخذ شبهة رواية الحديث بالمعنى ذريعة، أو مبررًا للزهد في الدراسة البلاغية للحديث النبوي، وذلك للأسباب التي بُيِّنَت في موضعها من الدراسة.

٤- كون جمل الحديث جملًا خبرية اسمية، وذلك للدلالة على يقينيتها، وأنها من المسلمات التي لا تنكر، وهذا متلائم تمامًا مع محتواها المجهول للمخاطبين، ولذا فلم تكن هناك حاجة لتوكيدها، فهي من الضرب الابتدائي الذي لا يؤكد فيه الكلام على ما رجحه البحث، ثم إن مجيء هذه الجمل على هذا النحو يمكن حمله على أنه من باب الأمر عن طريق الخبر وقد أوثر هذا الطريق لما يتسم به من رقة ولطف، فقد عمد إلى بيان المزايا بالجمل الخبرية داعيًا المخاطبين إلى التمسك بمحتواها من غير مجابهة بالأمر الصريح مراعيًا في ذلك طبيعة النفس البشرية التي ربما تأنف من الأمر، وتتطلع إلى تحصيل كل خير.، وقد جاءت الجمل الخبرية جملًا اسمية لأن الهدف من ورائها هو بيان دوام تلك الحقائق إلى قيام الساعة.

٥- بلاغة ترتيب الجمل في هذا الحديث، حيث جاءت على نسق عجيب، توخى التدرج في الإيمان على النحو الذي تم بيانه.

٦- جمع البيان النبوي بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال، حيث افتتح الحديث بذكر الطهور مخبرًا عنه بأنه شطر الإيمان، ثم ذكر بعده أمورًا ترتبط به ارتباطًا وثيقًا، فناسب الابتداء المقصود.

---

[١] ينظر شرح النووي على صحيح مسلم، جـ٣، ص١٠٠.

٧- بلاغة الوصل الذي غلب على هذا الحديث، حيث وصل بين سبع جمل منه بالواو، لارتباط كل واحدة منها بالأخرى، حيث تعد الجمل السبعة درجات للسلم الذي يرتقى به إلى الإيمان الكامل فعلى الرغم من استقلالية كل واحدة منها لتضمنها قاعدة مهمة من قواعد الدين، إلا أن كل جملة لا يمكن أن تنفصل عن أختها، وقد وصل بين اثنتين من جمله بالفاء، وقد جاء الفصل مرةً واحدة، حيث فصل بين الجملتين الأخيرتين، والجمل السبعة المعطوف بعضها على بعض، ولعل السر وراء ذلك هو كونهما توكيدا للجمل السابقة، أو للتنبيه على أهمية المفصول لتضمنه الجزاء على ما سبق، وربما يكون الفصل لأجل الاستئناف.

٨- بلاغة اصطفاء الكلمة في الحديث، وقد تجلى ذلك في اصطفاء لفظة الطهور في هذه الرواية لما لها من دلالة على العموم، ولما لها من ارتباط بالمذكور بعدها، وفي اصطفاء كلمة شطر،، وفعل يغدو، وفعل تملأ، ولفظة موبقها بدلا من مهلكها، وغير ذلك مما مر التعليل له، وقد تضافر اصطفاء الكلمة مع الطباق والتقسيم على النحو المبين آنفًا.

٩- مناجاة هذا البيان النبوي للعديد من الآيات القرآنية المشتملة على ذكر الإيمان والعمل الصالح، وقد قام البحث بالموازنة بين هذا الحديث وبين سورة العصر على سبيل المثال، فانتهيت إلى تأييد الحكم بالتكامل بين الكتاب والسنة، مع إعجاز القرآن، وبلاغة الحديث.

١٠- بلاغة بعض الأصوات في الحديث الشريف اعتمادًا على ما لها من خصائص، وقد تجلى هذا في صوت الصاد المكون لكلمات الصلاة، والصدقة، والصبر.

١١- هيمنة التشبيه على التصوير في الحديث الذي معنا، فقد قام بدور بالغ الأثر في أداء المعنى، والتأثير في المتلقين، بمراعاة خصوصيات ودقائق في الصياغة، من مثل حذف الوجه والأداة، واستمداد المشبهات بها من الطبيعة الساكنة لضمان بقائه وديمومته، وكون المشبهات بها في التشبيهات الثلاثة الواردة في الحديث من واد واحد عموما، مع وجود فروق دلالية تم بيانها، والموازنة بينها في موضعها من البحث، هذا مع الإشارة إلى شيوع هذا النمط من أنماط الجملة- وهو المبتدأ المعرف بأل والخبر النكرة- في الحديث الشريف خصوصًا في الصحيحين، وذلك عند إرادة التعبير عن الحقائق والمسلمات.

١٢- مجيء هذا البيان النبوي موجزًا شدما يكون الإيجاز – كشأن جميع أحاديثه عليه الصلاة والسلام التي هي من جوامع الكلم – على الرغم من غزارة معانيه، وكثرة فوائده فقد قل عدد ألفاظه، وإن كان البحث قد ذكر بعض الآيات التي تفوقت في وجازتها واختصارها، مع غزارة معانيها على هذا الحديث على الرغم من إيجازه الشديد، ولا غرو فالقرآن معجز، والبيان النبوي في أعلى طبقة من البلاغة.

هذا وبالله التوفيق

ثبت بأهم المصادر والمراجع

- الأربعون النووية تحـ قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشيخي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت، ط ١، ٢٠٠٩م.
- أساليب البيان والصور القرآنية د. محمد إبراهيم شادي، دار والي الإسلامية بالمنصورة، ط ١، ١٩٩٥م.
- أسرار البلاغة تحـ شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، دار الكتاب العربي بيروت، ط ٨، ٢٠٠٥ م.
- ١البلاغة العربية للميداني، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.
- ١البيان النبوي د. محمد رجب البيومي، دار الوفاء بالمنصورة، ط ١، ١٩٨٧ م.
- الكاشف عن حقائق السنن للطيبي تحـ عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط ١، ١٩٩٧ م.
- الكليات لأبي البقاء الكفوي تحـ عدنان درويش، مؤسسة الرسالة بيروت، د ت.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
- الإيضاح تحـ خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط ٦، ١٩٨٥ م.
- البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج للولوي، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٦-١٤٣٦ هـ.
- بغية الإيضاح لعبد المتعال الصعيدي مكتبة الآداب، ١٩٩٩ م
- بناء الجملة في الحديث النبوي في الصحيحين، د. عودة خليل أبو عودة، ط٢، دار البشير عمان الأردن، ١٩٩٤ م.
- تاج العروس للزبيدي، تحـ مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للقاضي ناصر الدين البيضاوي تحـ لجنة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف بالكويت، ٢٠١٢ م.
- التصوير البياني لأبي موسى، مكتبة وهبة، ط ٣، ١٩٩٣ م.
- تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧ م.
- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، تحـ شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة بيروت، ط ٧، ٢٠٠١ م.
- حاشية الدسوقي تحـ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية بيروت.
- خزانة الأدب لابن حجة الحموي، تحـ عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٤ م.
- خصائص الحروف العربية ومعانيها لحسن عباس، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨ م،
- دلائل الإعجاز تحـ شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة، ط ٣، ١٩٩٢ م.

- سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني، دار المعارف الرياض السعودية، ط ١، ١٩٩٢ م.
- سنن الترمذي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط ٢، ١٩٧٥ م.
- شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد، مؤسسة الريان، ط ٦، ٢٠٠٣م.
- شرح مصابيح السنة للإمام البغوي لابن الملك تحـ لجنة بإشراف نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، وزارة الأوقاف الكويتية، ط ١، ٢٠١٢ م.
- صحيح مسلم تحـ محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ١، – ٢٠١٢ م
- الطراز للعلوي، المكتبة العصرية بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.
- فتح البيان لأبي الطيب القنوجي، المكتبة العصرية بيروت، ١٩٩٢ م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ط١، ١٣٥٦ هـ.
- الكتاب لسيبويه، تحـ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط٣، ١٩٨٨ م.
- لباب البيان د. محمد حسن شرشر ط٢، ٢٠٠٢/٢٠٠٣ م.
- اللمع في العربية لابن جني، تحـ فائز فارس، دار الكتب الثقافية بالكويت.
- المعين على تفهم الأربعين لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحـ: الدكتور دغش بن شبيب العجمي، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، حولي – الكويت،
- مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.
- مقاييس اللغة لابن فارس تحـ عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، السياق وتوجيه دلالة النص للدكتور عيد بلبع، ط١، ٢٠٠٨ م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ٢، ١٣٩٢ هـ..
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي تحـ الدكتور نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر بيروت، ط ١، ٢٠٠٤ م.
- الوجوه الحسان في علم البيان د. سعيد جمعة.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني، تحـ محمد أبو الفضل إبراهيم و علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.